




ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

# البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

العدد السادس ـ المجلد الخامس والستون محرم الحرام ١٤٤١هـ ـ سبتمبر ٢٠١٩م

- الانسان ونواميس الكون !
- دعوة شعيب عليه السلام قومه إلى الله تعالى
- البلاغة والاعراب والبيان في القرآن الكريم ، أول سورة الحج
- الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومكانتهم الرفيعة
- في ظلال الهجرة النبوية
- روايتا الإمامين يحي بن يحي الليثي ومحمد بن الحسن الشيباني
- جهود ندوة العلماء في مجال نشر اللغة العربية وآدابها
- محمد المأمون الأرزنجاني الدمشقي : مؤلفاته وشعره العربي
- لقاء مع الأديب المهجري : نسيب عريضة
- " وقتل شعب كامل قضية فيها نظر "

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ، الهند
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website:http://www.albasulislami.com







شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد



مجلة إسلامية شهرية جامعة

سبتمبر ٢٠١٩م — September 2019

العدد السادس ـ المجلد الخامس والستون ـ محرم الحرام ١٤٤١هـ ـ سبتمبر ٢٠١٩م

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)



المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
Mob: 9889336348, 8400476826 Email: albaas1955@gmail.com

# محتويات العدد

العدد السادس ـ المجلد الخامس والستون ـ محرم الحرام ١٤٤١هـ ـ سبتمبر ٢٠١٩م







# الإنسان ونواميس الكون !

من نواميس هذا الكون التغييرات التي تلاحق كل شيئ مما خلقه الله سبحانه في الكائنات من آيات وآثار ومن أرواح وأجسام ، يشاهدها كلٌ منٍ ذوي البصر والبصيرة من الناس ممن يفكرون فيها ، ولكن هناك نوعاً من الناس لا يعرف أكثر من أنه إنسان يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ، وينطق بلسان ، ويلبس لباساً يستر عورته أمام الناس ، ولعله لا يدرك أكثر من ذلك شيئاً ، أما الغاية من خلقه في صورة إنسان فلعله لا يفكر فيها ، ويعيش في الدنيا ككائن متميز فحسب ، وله الحق في أن يتمتع بما خلقه الله تعالى في هذه الأرض من متع ولذات .

ولعل هذا النوع من الناس ، وإن كان منهم من تعلم وتثقف ، ومن بلغ إلى أعلى درجة من العلم والثقافة الظاهرة ولكنه قلما يتأمل في صانع هذا الكون وما حقه عليه ، وكيف يعرفه ، وما هي تميزاته الواسعة اللامحدودة التي يعجز عن إدراك أقل شيئ منها بل أقل ذرة منها ، عقل العالم البشري بكامله ، إنه يعيش في أحلام لذيذة ويبني قصور عظمته في الهواء ليس غير ، ويقضي أيام سعادة متخيلة ثم يغادرها من غير رجعة ، هذا النوع من الناس له جولة وصولة في أجزاء من الأرض مختلفة وهو مستمر في سياسته الزائفة وفي أعماله ونشاطاته الصناعية والعلمية باستكبار ، وعلو شأن ، ويعتبر نفسه من سوابق المجتمعات البشرية وروادها نحو الازدهار والرقي مما ليس له نظير في غابر الأزمان ، وقد بلغ بالعلم والصناعة إلى آخر ذروة من الكمال !

ولكن هذا النوع " المسكين " لا يأتي في عداد ممن دعاهم الله سبحانه بأولي الألباب وأثنى عليهم وأشاد بمكانتهم في هذا الكون ، لأنهم يستخدمون قوى العقل والفكر في التأمل في آيات الله العظيمة الكبرى ، فقال تعالى في محكم كتابه : ( إنَّ فى خَلْقِ ٱلسَّمَاوَات وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَف ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـآيَات لّـأُولى ٱلأَلْبَاب . ٱلَّذينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قيَاماً وَقُعُـوداً وَعَلَىٰ جُنُوبهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فى خَلْقِ ٱلسَّمَاوَات وَٱلأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـاطلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّـارِ ) ، جاء في الحديث الصحيح الذي روي عن أم

المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " لما نزلت هذه الآية على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي ، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة ، فرآه يبكي ، فقال : يا رسول الله ! أتبكي وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ولقد أُنزل عليّ الليلة آية : ( إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَابِ ) ، ثم قال : ويلَ لمن قرأها ولم يتفكر فيها " .

إن هذه الآية وما والاها من آيات تغطي حيزاً كبيراً لأولي العلم والألباب ، وما يتميزون به من صفات ودلائل تجعلهم دائمي التفكير في الآيات الكونية وصانعها العظيم والخضوع أمام قدرته الواسعة الدائمة التي أكرم الإنسان وكل كائن من العالم البشري بالذكر والتأمل فيها ، ثم الانتفاع بصناعة ذلك الصانع العظيم مع التعمق في كل ناحية من الخلق والأمر ، ودراسة كل زاوية من آيات الله تعالى في السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وبذلك وحده يتمكن المرء من الحصول على سعادة الحياة في هذه الدنيا ، والاستحقاق بالجوائز العالية من الجنات والنعيم في آخرته التي يواجهها بعد الموت ، وفي الحشر بعد النشر ، وسوف لا يُترك أي كائن من الجن والإنس إلا ويتعرض ليوم الحساب .

ومع هذه الحقيقة السماوية وهذه العقيدة الإيمانية الثابتة الخالدة ، يتوافر في العالم البشري منذ أول يومه نوع من البشر لا يخضع لها ولا يتعب في التوصل إلى عمقها وإسعاد الحياة في ضوئها ، بل الواقع أنه يتمرد إزاء التأمل فيها ويعتبر أن إرهاق الفكر واستعمال العقل في مثل هذه الأمور الغيبية ليس إلا تعكير صفو الحياة ، والحيلولة في سيرها الطبيعي ، ولقد عبّر كتاب الله تعالى عن هذه الفئة من الناس بأسلوبه المعجز البليغ ، اقرأوا معي الآيات التالية التي قال الله تعالى فيها " ( لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰئِكَ كَٱلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ ) ، لم يكتف الله سبحانه بتشبيههم بالأنعام فقط بل أضل من الأنعام ، بل وأقل درجة من الأنعام في ضلالهم ، وأحط درجة من الأنعام الضالة وأسفل درجة منها وهي الغفلة ! وما أدراك ما الغفلة والغافلون ؟

لقد كانت الآية جواباً لهذا السؤال ، قال المفسر العظيم أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ضمن تفسير الآية : " ( أُوْلَـٰئِكَ كَٱلْأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ ) لأنهم لا يهتدون إلى صواب فهم كالأنعام ، أيَ همتهم الأكل والشرب ، وهم أضل من الأنعام ، لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها وتتبع مالكها وهم بخلاف ذلك ، وقال عطاء رحمه الله : الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه ، وقيل : الأنعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع ، ( أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ ) أي تركوا التدبر ، وأعرضوا عن الجنة والنار " . ( تفسير سورة الأعراف ) .

إن قليلاً من الاستعراض لمجتمعاتنا التي نعيش فيها يؤكد أن هذا النوع من الناس الذي تشير إليه الآية يتغلب اليوم على العالم المعاصر ، وطالما يملك أزمة الأمور ، ويتحكم في أقدار عامة الناس وشئونهم الحيوية ، وأوضح مثال لذلك إذا تساءلنا عنه ، الولايات المتحدة الغربية التي تحكم في القضايا المصيرية والمهمات الأساسية بصرف النظر عن الحقيقة الفطرية والمشكلة الطبيعية التي يواجهها الإنسان منذ وجوده في هذا العالم ، يوم أعلن الله سبحانه أمام ملائكته بقوله : ( إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ) ولكن الله سبحانه ردّ عليهم وقال : إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

لأن الله سبحانه وتعالى كان قد قرر أن يجعل الأرض قاعة امتحان أوسع للكائن العاقل الذي يشمل الجن والإنس ، ويوزع فيها ورقة ذات أسئلة مهمة جداً ، تتعلق بالإيمان والكفر بصفة دائمة باقية إلى بقاء العالم البشري .

ومما يؤسف له في عالمنا المعاصر المعاش ، أن ميزة الجمع بين الإيمان الراسخ والإخلاص القائم في النوايا والأعمال تكاد تفقد روحها ، ويقع الناس فريسة الأوضاع والظروف المادية الرعناء ، ولا تخطر ببالهم حقيقة الفرق بين العادة والعبادة والقيام بالمسئوليات الدينية كإنجاز الأعمال العادية والنشاطات الروتينية ، فالصلاة مثلاً يؤديها مع الالتزام بالجماعة أو في المسجد ، ولكنه لا يتصور بذلك أن الله يراه وهو يطيعه بهذا العمل ويكرمه بالعطاء الذي قدر له ، إنما يصلي شفاءً لعادة تعودها ، وهكذا في جميع الأعمال والعبادات فريضةً وواجباً وسنةً ونفلاً ، كل ذلك يتأدى ولكن خالياً عن الروح والشعور بأن الله يراه

( فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) .

أين ذهبت الروح وبقي الجسد بارداً خالياً عن الروح ! أليس هذا السؤال يتفق مع الواقع المعاش في مجتمعاتنا وفي مجالسنا وفي أسرنا وبيوتنا ؟ بلى ! إننا نعيش كأمة ميتة خالية عن الروح المطلوبة والغاية المنشودة ، ألا ينطبق علينا الآية المذكورة من سورة الأعراف ، وبالأخص مبدءها ( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ ...... ) ، فهل هناك إنذار أشد من هذا ، وهل هناك تحذير أعظم من هذا الذي هو مبدء الآية ؟!

وما دمنا نحن الجن والإنس مكرمين بعظمة الإسلام ومنحة أشرف الخلق ، كيف نتناسى هذه النعمة الإنسانية والعقل البشري ، والشرف الجنسي ، والعزة الإيمانية ، وكيف تتحول حياتنا من الدعوة إلى الله والعمل لله ، والعبادة والذكر لله إلى حياة ذرأها الله لجهنم ( والعياذ بالله ) ، إلى حياة من لهم قلوب ، وعيون ، وآذان ولكنهم يستخدمونها في غير ما وضعت له من الوظائف التعبدية ، والعيش مع الفطرة التي فطر عليها الإنسان وجعله خليفةً في الأرض ، إذ هو مسئول عن تعليم الإنسان وتربية النفس البشرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإن قليلاً من التغافل يجعل الإنسان أضل من الأنعام ويحوّله إلى مادة فساد وضلال ، ويعكس مهمته من الدعوة إلى الحق والطمأنينة والأمن والسلام إلى دعوة للهدم والدمار وكفران النعمة ونشر الفساد والضلال والوحشية في عالم البشر ، وأخيراً إلى أضل من الأنعام .

ليت قادة العالم المزعومين الماديين فكروا قليلاً في هذه الحقائق الثابتة الدائمة وعرفوا قيمة الإنسان ووظيفته في الحياة ، ومصيره إلى دار الحساب التي لا مناص منها في أي حال .

( يٰأَيُّهَا ٱلإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ . ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِيۤ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ . كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ) وصدق الله العظيم .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٤٠/١٢/١١هـ
٢٠١٩/٠٨/١٣م

التوجيه الإسلامي

# دعوة شعيب عليه السلام قومه إلى الله تعالى

( بقية من تفسير سورة الشعراء )

بقلم : سماحة العلامة الامام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلأَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ( الشعراء : ١٧٦ – ١٨١ ) .

**القرآن كتاب يكشف عن أمراض الأمم السابقة :**

القرآن كتاب الله الخالد إلى يوم القيامة ، وهو آخر كتاب نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو كتاب الإنسانية جمعاء ، فقد ذكر الله تعالى فيه الأمراض الأساسية التي نشأت في الأمم السابقة ، ثم كيف كانت مؤاخذة الله إياهم ، وكيف نزل العذاب عليهم ، ولم يذكر القرآن الكريم مرضاً لا يوجد نظيره في أمة ، أو ليست له علاقة بالنوع البشري وحضارته الإنسانية . انظروا إلى قوم نوح وقوم عاد وثمود وأصحاب الأيكة ، ليست أمراضهم خيالية أو مفترضة .

ومن هذه الأمراض التطفيف في الكيل والوزن ، وللأمراض أسباب ودواع توجد في الفطرة الإنسانية ، وهي ليست غير طبيعية ، وليس معنى " غير طبيعية " غير خلقية ، وبينهما فرق كبير ، فإن طبيعة الإنسان إما تنشئها أو تعترف بها ، أو تكون لها فيها رغبة ملحة .

**التطفيف في الكيل والوزن :**

ومن هذه الأمراض الإنسانية : التطفيف في الكيل والوزن ، ينشأ هذا المرض بالحرص الزائد للمال ، حينما ينشأ فيه حب المال ، ويتمنى الإنسان أن يكون غنياً في أقل مدة ، وقال علماء النفس : إن الغني لا يكون أخطر مثلما يكون حريص الغنى والثراء أكثر خطراً ، فكل ما يوجد من فساد وعدم اعتدال ، يتدخل فيه حرص المال ، فكان حرص المال في قوم شعيب عليه السلام كثيراً لم يكن في الأمم الماضية التي كانت من قبل .

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أقواماً توجد فيهم أمراض جديدة من نوعها ، وإلا كان المرض المشترك فيهم الشرك والوثنية

والجهالة ، فإذا توغل قوم في مرض أو معصية تماماً تناول ذكرها بكل تفصيل ، على كل ، فالحاجة إلى أن تعرف أسبابها ، إن أصحاب الأيكة كانوا يسكنون في بيداء ، تعرف بخليج العقبة ، وهي بين الحجاز وفلسطين ، وتقع الآن في الأردن ، وإذا أطلقنا على مدين اسم جزيرة العرب كان سيدنا شعيب عليه السلام عرباً ، لأن مدين في منطقة الشام على حدود أرض العرب .

وقال أبو الفداء ابن كثير : " كان أهل مدين قوماً عرباً ، يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان ، من أطراف الشام ، مما يلي ناحية الحجاز ، قريباً من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمدة قريبة " ( البداية والنهاية لابن كثير ، الجزء الأول ، ذكر أولاد إبراهيم ) .

**نتيجة عدم الخشية من الله تعالى :**

إن ما ارتكب قوم شعيب من تطفيف في الكيل والوزن كان نتيجة عدم الخشية من الله تعالى ، والحرص الزائد للمال ، ويبقى هذا المرض في مختلف أدوار التاريخ الإنساني، ولا ينتهي أبداً ، فلم يذكر القرآن مرضاً زال وانتهى عصره ، ولا يوجد أثره الآن ، فلم يكن هناك مرض من نوح عليه السلام إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومن إبراهيم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا وقد أشير إليه في القرآن الكريم ، ووضعت النقاط على الحروف ، ولم يزل موجوداً في الأقوام ، وكما يوجد الآن ، ويبقى إلى يوم القيامة ، ومن هذه الأمراض : التطفيف في الكيل والوزن .

كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ .

أثبتت التجارب الإنسانية أن مجرد تبليغ رسالة أو نبوة لا يكفي ، بل لا بد أن تكون هذه المهمة بدون نقص أو زيادة ، فكانت أخلاق الأنبياء عالية وسيرهم مطهرة أو حياتهم غير مشتبهة ، لم يسمع منهم كلمة كذب أو فحش في صغار الأمور فضلاً عن كبارها ، كما لم يخدعوا أحداً في أمر ما ، فقال شعيب عليه السلام : إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ .

**الحاجة إلى الاستغناء وفائدته :**

وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

كما ذكرنا من قبل أن كل نبي نادى بهذا النداء ، فلم يذكر القرآن الكريم هذه الجملة في موضع أو موضعين كقاعدة كلية ، بل أعاد ذكرها في قصة كل نبي بهذه الكلمات : وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

لأن هذا المرض ينشأ دائماً ، وبسرعة مدهشة ، ويكون أكثر ضرراً ، والشيئ الذي يضر بالدعوة الدينية والأهداف النبيلة هو أن يكون الإنسان طالب أجر ، وكلما اطلع الناس على فكرة نيل الأجرة ابتعدوا عنه وقلَّ أثر الدعوة فيهم ، فمن أراد فليجرِّب ذلك في حياته ، ير أثره ، وهذه فطرة إنسانية .

الاستغناء حاجة أكيدة للدعوة إلى الله ، فلا يتم هذا العمل إلا به ، وهو سلاح الدعاة الذي ينجزون به أعمالهم ، في الاستغناء تأثير مثل ذكر الله تعالى ، فقد أودع الله تعالى في الاستغناء تأثيراً منذ الأبد . فقال سيدنا شعيب عليه السلام : إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ . أي لا تظنوا أن شعيباً ينهاكم عن التطفيف في الكيل والوزن ، وينتفع نفسه بتبليغ الرسالة مادياً ، فقد تغير شكله وصورته ، فلم يستفد مباشرة ، فاختار له طريقاً ، فقال شعيب عليه السلام : لا أريد أن أستفيد منكم شيئاً ، كما أنهاكم عن استغلال الأموال بطريق غير شرعي . لأن هذا الانتماء تارة يكون سبباً لغرض مادي ، أو منصب عال ، فقال : إن أجري إلا على الله .

**تأثير النفسية الاستغلالية :**

أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ . إن النفسية الاستغلالية ونيل المصلحة الشخصية التي هي ميزة هذه الطبيعة لا تفرِّق بين مباح وغير مباح ، وقانوني وغير قانوني ، وتؤثر المصلحة الشخصية على المصالح الاجتماعية ، وإن جرَّ ذلك إلى مفاسد مدنية وأمراض اجتماعية ، فالخيانة في التجارة وسوء التعامل والتطفيف في الكيل والوزن أقل درجة من هذه النفسية والفطرة ، وكانت مصر والشام والعراق وإيران واليونان مراكز كبيرة في عصورها ، وكانت هذه المدنية توجد هناك بخصائصها ، وفشا هذا المرض في تجار مدين كثيراً ، فقد لفت سيدنا شعيب عليه السلام عنايتهم إلى هذا الجانب بوجه خاص قائلاً : أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ

وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ . أي فإنهم نقصوا في المتاع وأسرفوا في الثمن ، أو خلطوا فيه شيئاً ، أو اختاروا طرقاً أخرى .

وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ . وَلاَ تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ . لكي تكون نصيحة للآخرين ، وهذه قاعدة ثابتة أن الإنسان إذا كان فيه مرض أو اعتبر الشيئ حسناً نصح به قصداً أو سهواً ، تارة بلسان القال ، وذلك حينما ذهب إلى مكان ، واطلع على أن هناك رجلاً يعمل هذا العمل ، فلا يسأل عنه الناس ، وأخرى بلسان الحال ، هذه فطرة إنسانية .

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلأَوَّلِينَ . فالتقوى هنا ليست عبارةً عن ذكر الله في غار فقط ، أو الاكتفاء بعبادته ، بل هي تلقين وتشويق لعدم النسيان لأحكام الله تعالى في علائق الدنيا وضوضاء الأسواق .

**رد الحادي لقوم شعيب وعاقبتهم :**

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ .

أي قالوا : إن الكلام في التطفيف في الكيل والوزن لا يوافق العقل والمنطق ، فيه خسارة شخصية ، ولا يعتبره أحد ذنباً ، ويقول الناس : هذا ما لا مفر عنه في نشاطاتنا ، فإن نهي شعيب عن هذا العمل أمر غير فطري ، لعل أحداً سحره ، فأصيب بسحره وشعوذته ، ولا شك في أن السحر أثر فيه تأثيراً كبيراً . فَقَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ .

**ميزة الصلاة وأثرها :**

ثم قارنوا الآن بين حياتهم وحياة شعيب عليه السلام ، فرأوا أنه يأكل كما يأكلون ، ويلبس كما يلبسون ، ورُزق أولاداً كما رُزقوا ، تأملوا وتدبروا كثيراً حتى توصلوا إلى أن شعيباً يصلي ، وهم لا يصلون ، وأن علاقته بالله تعالى قوية ، وأن تقواه بحيث أن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، فشخصوا هذا المرض ، وقالوا : يا شعيب ! أصلاتك تأمرك ، أي كأنهم أصابوا في إدراك هذا السر ، فإن صلاته كانت نتيجة خشيته لله تعالى ورسالته السماوية ، وكانت صلاته مظهراً من مظاهر النبوة ، فلم يكن يمنع الناس عن الشرك ومساويه بكونه مصلياً ، بل بكونه نبياً ورسولاً من الله تعالى ، يخشى الله تعالى ويصلي وينهى عن الفحشاء والمنكر .

فقولهم : أصلاتك تأمرك . . . مدح وثناء للصلاة ، وشهادة منهم ،

ولا بد أن تكون في الصلاة هذه الميزة ، بحيث تنهى الناس عن المنكر ، ويكون المصلي بعيداً عن كل سوء ، فقد أنطقه الله تعالى بلسانهم وذكره في القرآن الكريم ، ولم يرد عليه القرآن الكريم ، ليأخذ منه دارسو القرآن الكريم عبرة وموعظة .

فإذا كانت الصلاة تجتمع مع الفحشاء والمنكر فلا تعتبر صلاة حقيقية ، وليكن تأثير الصلاة في حياة الإنسان بحيث يقع تناقض بين صلاته وبين أخلاقه وأفعاله ، فقالوا :

وَمَآ أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ . أي ليس بيننا وبينك فرق بدني وفرق ذهني . فمن أين هذا الكلام ؟ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ . قالوا هذه الجملة وهم يظنون أن شعيباً لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، ولم يكونوا مطلعين على الآيات الإلهية ، ولا على تاريخ الأنبياء وأممهم ، وإلا لم يتكلموا بمثل هذا الكلام . إذ لا يمكن أن يقول هذه الجملة مسلم ولو كان بالاسم فقط ، فضلاً عن ولي من أولياء الله ، مستجاب الدعوات ، لا يقول أبداً : ادع علي ، والعن ، لكن قوم شعيب قالوا وهم لا يعتقدون أن فوقهم قوة إلهية ، تملك كل شيئ وتدبر الكون ، فقال شعيب عليه السلام : قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ، رد عليهم سيدنا شعيب عليه السلام رداً إيمانياً ورداً نبوياً ، ولو كان مكان نبي أحد لقال : نريكم الآن عاقبتكم الوخيمة ونشكوكم إلى الله تعالى ، لكن شعيباً قال : رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ، فلم يعجّل لهم العذاب ، لأنه لو عجّل لهم العذاب لكان معناه أنه يملك شيئاً ، وأن له تصرفاً في الكون . قال : رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ .

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . أي صار أولاً الطقس شديداً ، فجعلت أنفاسهم تختنق وتصببوا عرقاً ، ( ولم تكن هذه المنطقة حارة ) ، ثم لما عيل صبرهم واشتدت الحرارة ظهرت قطعة من سحاب ، ففرحوا أنها رحمة لهم ، وقالوا هذا عارض ممطرنا ، لكن بدأت تتقاطر منه الشرارة ثم الأحجار . كذلك كانت عاقبة المكذبين .

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . يتجلى لنا بعد دراسة فاحصة في اللغة العربية أن كلمة " أكثر " تطلق على الكل أو ما يقاربه ، لكننا حينما نتكلم في اللغة الأردية فنتكلم للنصف أو ما يقاربه ، فتختلف هذه الكلمة بالنظر إلى موضع استعمالها ، فمعنى الآية المذكورة أن أكثر الناس في قوم شعيب لم يكونوا مؤمنين . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ .

# البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم

( أول سورة الحج )

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان*

١٣ ( يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ) .

**الإعراب :**

اللام ( لَمَنْ ) لام الابتداء ، ومن في محل رفع مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره إلهه .

١٩ ( هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ) .

**البلاغة :**

الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى ( قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ ) ، وكأنه شبّه إعداد النار المحيطة بهم بتقطيع ثياب ، وتفصيلها لهم ، على قدر جثثهم ، ففي الكلام استعارة تمثيلية تهكمية ، فليس هناك ثياب ولا تقطيع .

٢٢ ( كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ) .

وجاء في سورة السجدة ( كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ) ٢٠ ، ففي سورة الحج تقدم كلمة ( مِنْ غَمٍّ ) ( قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ) ، أما في السجدة فلم يتقدمه مثل ذلك ، فلم يرد بالآية زيادة .

**ختام الآية :**

( وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ) حذف هنا ( وَقِيلَ لَهُمْ ) لطول الكلام ، وأثبتها في السجدة بالذكر لقصره .

٢٧ ( وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) .

* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً .

**يَأتِينَ :**

يأتين غير مفرد ، وضامر بمعنى الجمع أي ضوامر ، ودلّت على العموم .

٢٨ ( لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلأَنْعَامِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ) .

**التكرار :**

وجاء في الآية ٣٦ ( وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَائِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) .

كرّره لأن الأول مرتب على ذبح بهيمة الأنعام الشاملة للبدن والبقر والغنم ، والثاني مرتب على ذبح البدن خاصةً .

٣١ ( حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ) .

**البلاغة – التشبيه المركب :**

( وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ) فكأنه كمن أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده ، بأن صوّر حاله بصورة من خرّ من السماء فاختطفه الطير قبل أن يقع ، ومزّقته قطعاً في حواصيلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به .

٣٢ ( ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ) .

**فَإِنَّهَا :**

أنّث ضمير ( فَإِنَّهَا ) على أنها حذف مضاف تقديره هذه العادة والخصلة من تقوى الإنسان ذي القلب المؤمن .

٤٠ ( ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) .

**معنى الآية :**

الذين أُخرجوا من مكة المؤمنون ، ويشمل غيرهم ممن يكون

على حالهم ، لا لسبب إلا لتوحيدهم الله ، ولو لا أن الله تعالى شرع القتال بالجهاد للمشركين والملحدين في سبيل الله لهدّمت أماكن العبادة من قبل الكفار على مرّ العصور ، فالصوامع هي معابد الصابئين ، والرهبان ، والبيع كنائس النصارى ، والصلوات كنائس اليهود ، والمساجد للمسلمين ، ولذلك قال ( يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً ) للاستمرار .

**التأكيد :**

أكّد الله سبحانه قوته وعزته بـ ( إنّ ) واللام دون آية الحديد ، وقد ناسب تأكيد النصر تأكيد القوة هنا .

٤٥ ( فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ) .

**أهْلَكْنَاهَا – أمْلَيْتُ لها :**

وجاء في الآية ٤٨ ( وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ) ، في الآية الأولى تقدمها معنى الإهلاك بقوله ( فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ) ، وأما في الآية التي بعدها قال ( وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ) وهو يدل على أن العذاب لم يأتهم في الوقت .

٤٦ ( أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَـٰكِن تَعْمَىٰ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ) .

**المبالغة – ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ :**

القلوب لا تكون إلا في الصدور ، فائدة المبالغة في التأكيد ، مثل ( يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ) .

**أين مكان القلب :**

ليس المعنى في الآية تلك القطعة من اللحم ذي الشكل الكمثري ، الذي يطلق عليه الأطباء القلب الذي بين الأضلاع ، وإنما القلب الذي يعقل والذي وصف بأنه يعمى ، فيقال عمي البصيرة ، فهذا القلب غير ذلك القلب ، فذاك مادي وهذا معنوي ، فهو النفس التي أشرنا إليها في آيات سابقة التي تسير الإنسان وتدل على الشر والخير ، أما لماذا قال الله سبحانه ( ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ) مجازاً ، فلما كان القلب الكمثري اللحم يقع في

الصدر وهو الصدارة ويضخ الدم لسائر جسم الإنسان وعروقه وشرايينه وجميع لحمه ، وهو بمثابة القائد للبدن والأعضاء ، شبّه الله سبحانه القلب المعنوي النفس التي تتحكم في مشاعر وحواس الإنسان والقائد في الصدارة الأمامية دائماً بالقلب العضوي بجامع القيادة في الجسم والتحكم فيه ، وقد يبدل الإنسان قلبه الطبي من اللحم بقلب شخص آخر وربما كان كافراً ، ولكنه لا يمكن أن يبدل قلبه المعنوي النفسي العقلي ، الذي يعقل به ، ولا يتخلى عن الإنسان إلا بالموت .

٥٢ ( وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

٥٣ ( لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ) .

**تمَنَّىٰ :**

تفسير تمنى بـ يقرأ خطأ في سياق الآية ، وإنما قالوا ذلك ليرتبوا عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أصنام الكفار ( وأن شفاعتهن لترتجى ) اعتماد على روايات لأسباب النزول ضعيفة ومنكرة .

**التفسير الصحيح :**

يحذر الله نبيه والمؤمنين من الشيطان فهو يعرض للأنبياء كما يعرض لسائر الناس ، فإذا لاحظ الشيطان أن أحداً تمنى شيئاً من أمور الدنيا واشتهاه سارع فألقى في أذن أتباعه وأوليائه تلك الأمنية ليفرحوا بها ويحاولوا التأثير بها على نبي الله فيقدموا له ذلك الشيئ الذي رغبه وتمناه ، لكنّ الله الذي عصم رسله وتولاهم ورعاهم واختصهم لأمور الآخرة ، لا يمكّن أحداً من استغلالهم أو التأثير عليهم ، وكذلك كل من تقرب إلى الله يمثل عبادة الأنبياء وأذكارهم ، فإن كيد الشيطان أمام الصالحين كان ضعيفاً ، وليس له سلطان عليهم ، فينسخ الله ويزيل ما يلقي الشيطان في نفوس الناس بما زينه الشيطان ، ثم يحكم الله آياته الكونية أو الآيات المنزلة على رسله الدالة على صدق دعوتهم ، وإحكام الآيات ظهورها وغلبتها [1] .

[1] تفسير مشكل القرآن ، د . راشد الفرحان .

الدعوة الإسلامية

# الصحابة الكرام رضي الله عنهم
## ومكانتهم الرفيعة

العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وطبيعته في الإسلام أثرّت في الناس تأثيراً ، لم يكن عند الأنبياء الماضين ، لأن في الفطرة الإنسانية درجات متفاوتة للأنس وعدمه ، فإن الإنسان يشعر بعض الأحيان بالأنس ، وبعض الأحيان بعدم الأنس ، وله أسباب ودواع ، تؤثر بأثرها ، فإن الأب يأنس بالابن ، رغم أن وجهه يماثل وجه ابنه الآخر ، لكن يعرض عنه نظراً إلى وجهه بعض الأحيان ، وتارة يكون هذا الأمر أشد وأعمق ، كذلك شأن المحب والمحبوب ، تظهر أحوال الأنس وعدم الأنس عند الزيارة ولقاء بعضهم بعضاً ، هذه سنة الله في الأرض ، فلم يجعلها الله عبثاً وبدون هدف ، فإن في كل شيئ حكمة ، فكذلك في الأنس حكمة ، وضع الله لها أسباباً فطرية وغير فطرية ، يمرّ بها كل فرد ، فيأنس برجل حيناً كما يشعر منه بكراهية في الطبيعة حيناً آخر ، وقد أُودعت في فطرة الإنسان رقة ولطافة ، ووُضعت فيها خواص غريبة ، وجُعل كل رجل مختلفاً عن الآخر ، لو لم يكن ذلك ما كان هناك فرق بين عين وعين ، وبين بصمة وأخرى ، فإن أشعة العيون وبصمات الأصابع تدل على فصل كل شخص عن الآخر ، وله مزايا وخواص ، يتأثر بها كل من ينظر إليها .

**روائع من الحب والفداء :**

فقد كان لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرق تأثير بالغ بحيث إذا رآه أحد فداه بنفسه وروحه ، وانقلب حاله ، قال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءاً من كل عيب ... كأنك قد خُلقت كما تشاء

١. سئل الصحابي خبيب بن عدي وهو يصلب : أتحب أن يكون محمد مكانك وأنت ناج ؟ قال : والله ما أحب أن أكون آمناً وادعاً في أهلي وولدي وأن محمداً يوخز بشوكة ...... ، فكل من زار محمداً صلى الله عليه وسلم أو لقيه بلغ إلى آخر درجة من الحب والهيام وملكته حالة العشق ، واستولت عليه آخر حالة من الفداء ، وكل ذلك كان بتأثير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامه الجميل .

٢. أخذ أعرابي سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأراد أن يقتله ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من يمنعك مني ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الله ، فسقط السيف من يده وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفح عنه وخلى سبيله .

٣. قصة إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه مشهورة جداً ، خرج من بيته وهو يحمل سيفه ، سمع في الطريق أن أخته وزوجها أسلمتا ، فرجع إلى بيتهما وسمع أول سورة طه من القرآن الكريم فانقلب حاله ، ثم قصد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما وصل إليه خشي الصحابة من قدوم عمر الجريئ الباسل ، سأله النبي صلى الله عليه وسلم : ما الذي جاء بك يا عمر ! قال : كنت قد جئت لأمر آخر ، لكن أريد الآن أن أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤. وقصة سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وهو يقول : " ما كان أحد أبغض إلى نفسي من محمد ، لكن حينما أسلمت فصار أحب الخلق إلى نفسي " .

٥. وقصة السيدة هند أم معاوية رضي الله عنهما ذكرها أصحاب السير والتراجم ، وورد ذكرها في صحيح البخاري : أنها بايعت وقالت له : يا رسول الله ! ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك ( كتاب المناقب ، صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٣٦١٣ ) وقصص إسلام أبي محذورة وفضالة بن عبيد والصحابة الآخرين تدل على هذا الأمر دلالة واضحة .

**الخلفاء الراشدون وحبهم للنبي صلى الله عليه وسلم :**

فأهل البيت الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم داخل البيت وخارجه ، كم كانوا معجبين به ؟ فهؤلاء اجتمعت لهم علاقة ثنائية :

شرف الصحابية ونسبة البيت ، فشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلا الموضعين ، إن سيدنا علي بن أبي طالب قد نشأ تحت حضانته ، وأصبح صهراً له ، وحينما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم المؤاخاة في المدينة آخى مع علي بن أبي طالب ، وكان محبباً لديه . كذلك شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كانت علاقته مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وطيدة ، فصحب النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ، وانسجمت طبيعته مع طبيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سيدنا عمر قد أكرمه الله بخصائص يتميز بها عن غيره ، فلم يقع سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في شك نحو تعيينه للخلافة ، رغم أن أبا بكر رضي الله عنه كان رحيماً ، وكان عمر رضي الله عنه شديداً في شئون الدين ، أما سيدنا عثمان رضي الله عنه فقد ملكه الحياء ، فيستحيي منه الملائكة ، وقصة فدائه وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم مشهورة ، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه للعمرة من المدينة المنورة ، فأقيمت سدود في طريقهم نحو مكة في الحديبية ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عثمان رضي الله عنه للقضاء في هذا الأمر ، فذهب إلى مكة ، لكنه لم يطف الكعبة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد مُنع منه ، ولأنه قد أرسل لأمر آخر ، فلم يرض أن يطوف ، فبويع في الحديبية بيعة الرضوان ، في ظهر الغيب لسيدنا عثمان رضي الله عنه ، هذه ميزة تختص بسيدنا عثمان رضي الله عنه .

وقد نال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه منذ أول يومه صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتشرف بخدمته ، كما كان نائباً عنه في بعض مناسباته ، ويتصف بالعلم الغزير والحكمة البالغة . وردت فضائل هؤلاء الأربعة في حديث ، قال صلى الله عليه وسلم : أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر ، وأحياهم عثمان وأقضاهم علي . ( روي عن أنس ، أخرجه الترمذي ) ، أضف إلى ذلك أن صلى الله عليه وسلم ترك عنده الأمانات وقت الهجرة ، وظل مثابراً أمام الأعداء ، وردّ الودائع إلى أهلها ، وقد وكل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية في غزوة خيبر ، وقال : " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويفتح الله على يديه " . وفي عام ٩ من الهجرة حينما أرسل أبا بكر أميراً للحج أتبع سيدنا علي بن أبي طالب بإعلانات وتوجيهات للمشركين . ومن قبل في غزوة بدر رشح النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا علي بن أبي طالب لمقاومة الأعداء ومجازفة الأخطار ، رغم أنه كان أحبَّ إليه ، فهزم سيدنا علي بن أبي طالب الأعداء شر هزيمة .

**فتح مبين لا فتح مهين :**

كانت الأوضاع في جزيرة العرب أشد خطورة إلى صلح الحديبية ، فإن صلح الحديبية وإن كان صلحاً مهيناً في الظاهر ، لكنه كان صلحاً مبيناً ، وقد سمّاه القرآن الكريم فتحاً مبيناً ، قال تعالى : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ( الفتح : ١ ) ، وامتد الصلح إلى سنتين أو سنة ونصف سنة ، فقد آمن فيها عدد كبير لم يؤمن في السنوات الماضية ، ودخل في الإسلام أبطال ومغاوير خدموا الإسلام خدمة مثالية ، لا يوجد لها نظير ، كفانا ذكر خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، اللذين أبليا بلاءً حسناً في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده .

شهد كفار مكة خلال إملاء بنود صلح الحديبية منظراً لا يوافق العقل الإنساني، وهو دليل على حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له ، وفدائهم له ، فإنهم قالوا لأصحابهم : " والله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده " ، هذا وأمثاله من الأحوال تدل دلالة واضحة على أن من انضم إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انقلب حاله ، وصار عاشقاً هيمان له ، ويتقدم عامة الناس بدرجات في الحب من المحبوب .

**الله الله في أصحابي :**

الواقع أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد اختارهم الله تعالى لنشر دين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه إلى الناس كافة بكل صدق وأمانة ، فمن انتخبه الله تعالى لحمل رسالته جعله أفضل خلق ، ولما قدّر الله تعالى أن يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً وَكَلَ إليه مسئولية ختم النبوة وجعل سيرته وأمانته أيضاً مثاليتين . لكن الرجال الذين لم يدخلوا في الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يستعملهم في طاعته ، فعُرفوا بين الناس بالكافرين والمنافقين ، أو الأعراب البدو ، أما الذين أسلموا في فتح مكة بضغط ظاهر ، فقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطى من العطايا الكبار ، وخصهم بنفسه ، وأعلن لهم إعلاناً عاماً للعفو والصفح ، بحيث انقلبت حالة الحرب إلى حالة سلم وأمن ، وأخوة ومودة ، واحتال صلى الله عليه وسلم في العفو ، وعفا عن الأعداء الألداء الذين يواجهون الإسلام دائماً ، فأسلم عدد كبير منهم وتشرف بنعمة الصحبة النبوية ، قال أنصاري وهو يحمل لواء : اليوم يوم الملحمة ، فأخذ منه اللواء وأعطى ابنه قيس بن سعد

ابن عبادة ، وقال : اليوم يوم المرحمة .

ثم تلافى هؤلاء ما فاتهم من جهاد وخدمة للدين الحنيف ، وقدموا تضحيات جبارة لابتغاء وجه الله تعالى ، وقام بعض منهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمساع مشكورة سجلت بمداد من نور ، أمثال عكرمة بن أبي جهل ووحشي بن حرب رضي الله عنهما ، كان وحشي بن حرب يستحيي من المثول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه قتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه ، فيذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون سبباً لضياع إيمانه ، كذلك كانت عداوة أبي جهل ، فكان ولده عكرمة ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل وحشياً وعكرمة كليهما ، وقال : هذا أمر الله ، من شاء هداه ومن شاء رفع درجته . وزاد من مكانة هؤلاء الصحابة بأحاديثه : لا تسبّوا أصحابي ( البخاري : ٣٣٩٧ ، ومسلم : ٤٦١١ ، عن أبي سعيد الخدري ) " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ( رواه أحمد والترمذي ) . وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم بكلمة : والذين معه ، أو ما يمثله من الكلمات .

وقد نهى سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الهجرة أولاً ، ثم أمر بأن يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما أوى إلى غار ثور وهو على أعلى مكان من الجبل ، خارج مكة المكرمة في المرحلة الابتدائية لرحلة الهجرة ، ووصل إليه الأعداء ، ورأى أبو بكر رضي الله عنه أرجلهم ، وخاف شيئا على نفسه وعلى محمد صلى الله عليه وسلم ، سكنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عبَّر عنه القرآن الكريم بكلمة " صاحبه " : إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا .

حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه : لَا تَحْزَنْ ، إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ، وقدمه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام حياته للإمامة بكل تأكيد ، واعتبره سيدنا علي بن أبي طالب دليلاً على خلافته ، وكان يقول : إذا فوّضت إليه الإمامة في الصلاة وهي أهم الأمور الدينية ، فهو أحق بالإمامة في الشئون الدنيوية ، فقبلناه فرحين مسرورين .

ولما أثار المنافقون شبهات حول ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم ، وأبدى عفتها وطهارتها ، واعتبرتها وجميع الأزواج المطهرات " أمهات المؤمنين " وقال : ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ( الأحزاب : ٦ ) . وذكر في موضع آخر خصائصهن وصفاتهن قائلاً : إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ( الأحزاب : ٣٣ ) مع ما أشار إليه من

مكانتهن وعلو شأنهن ، قد ضم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته الحبيبة وابن عمه علياً وابنيه الحسن والحسين ( رضي الله عنهم ) إلى هذه الخصائص ، وقال عنهم كلمات وأحاديث تبين مكانتهم وحبهم وفداءهم له ، وهي مسجلة معلومة في الحديث النبوي والسيرة الطيبة .

**الصحابة الكرام ومكانتهم الرفيعة في القرآن الكريم :**

ومن مزايا الصحابة الكرام البارزة أنه كلما نزل حكم من أحكام الله تعالى عملوا به ، وإذا صدر منهم خطأ لم يطمئنوا حتى يتوبوا إلى الله تعالى ، فلم يمدحهم الله تعالى عفواً ، بل قال عنهم بكل تفصيل : مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّه وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّه وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ( الفتح : ٢٩ ) .

هذه هي المكانة الرفيعة للصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وذكر القرآن الكرام بجانب هؤلاء الصحابة أولئك الذين يعتبرون أنفسهم من الصحابة ، لكن سلوكياتهم كانت تختلف عن سيرة الصحابة رضي الله عنهم ، وردت عنهم كلمات : المنافقون أو الخادعون . فكان يعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم معاملة حسنة ، وكان هذا التعامل إلى آخر مداه ، لكن نزلت عنهم هذه الآية : سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ( المنافقون : ٦ ) ، وعاش هذا الصنف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان بهؤلاء ، وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما وزعت المسئوليات ، سأله عمر رضي الله عنه هل تقلد أحداً منهم المسئولية ؟ فأخبره بدون ذكر اسمه ، فتفرس سيدنا عمر رضي الله عنه وعزله عن وظيفته ، أما اختلاف الصحابة رضي الله عنهم فتتفرع منه مسائل وأحكام فقهية كثيرة .

**بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعثة مقرونة :**

وإن الإسلام الذي هو دين الإنسانية جمعاء وهو دين خالد إلى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم : لا نبي بعدي ( سنن الترمذي ) وقوله تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ( الأنبياء : ١٠٧ ) وقوله تعالى : مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ( الأحزاب : ٤٠ )

وفوضت إلى الصحابة رضي الله عنه مسئولية دعوته ، صار الإسلام ديناً كاملاً ، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فاشتغل الصحابة رضي الله عنهم بتبليغ رسالته وتطبيق دينه وشريعته فكانت بعثته بعثة مقرونة ، بعثت معه أمة بكاملها لأداء مهمته ، قال تعالى : كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ( آل عمران : ١١٠ ) .

**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل :**

أما التفاوت في مراتب الصحابة ودرجاتهم فهو بتضحياتهم وتقدمهم في الإسلام وزيادتهم في الإيمان والإيثار والأخلاق والأعمال – ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ – فلا يبلغ ولي أو عابد أو مجاهد أو تقي أو عبقري أو تابعي درجة صحابي ، ولو رأى النبي صلى الله عليه وسلم لحظة بإيمانه ومات عليه . حتى لا يمكن أن نوازن بينه وبين رجل وجد عصره صلى الله عليه وسلم ، لكنه لم يره ، فالغيب عند الله تعالى .

وليعلم أن هؤلاء الصحابة لو آمنوا جميعاً في مناسبة ، أو مروا بحالة واحدة أو لم تصدر منهم أخطاء لعارض هذا الأمر القرآن والشريعة الإسلامية ، حتى الارتداد ثم الدخول في الإسلام أو إجراء الحدود والتعزيرات عليهم ، كل ذلك له مصلحة دينية ، فإن هؤلاء كانوا مقبولين عند الله تعالى أو على أعلى درجة من الآخرين . والصحابة الذين ملكوا نظام الحكم نفذوا شريعة الله تعالى في شئونهم ، ورغم ذلك كله كانوا خائفين ، كذلك كان حال سيدنا معاوية رضي الله عنه ، لم يقدم نفسه كخليفة راشد ، إلا أن جميع الرعايا في نظام حكمه استراحوا واطمأنوا ، رضي الله عنهم ورضوا عنه .

**هجر أسوة الصحابة سبب للناصبية والرفض :**

لكل من الصحابة وأهل البيت مكانة ودرجة ، وتوجد بينهم عظمة واحترام بعضهم بعضاً ، وقد جمع أهل السنة والجماعة بين حب الصحابة وأهل البيت ، وأدوا واجباتهما ، فمن ترك منهم طريق الاعتدال مال إلى الناصبية والخوارج أو إلى الرفض والشيعة ، وانحرف عن الصراط المستقيم . وتظهر أمثال هذه الأمور حيناً لآخر في مختلف المناسبات ، فلا بد لهم من التواصي بالحق .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً .

# في ظلال الهجرة النبوية

الأستاذ موسى إبراهيم أبو رياش *

لم تكن الهجرة اختيارًا وترفًا أو حبًا في السياحة والترحال ، بل كانت قرارًا اضطراريًا وضرورةً حتميةً لا بد منها ، فمصلحة الدعوة والرسالة تستوجب هذه الهجرة ؛ للتمكين لدين الله في الأرض ، ولتأخذ الدعوة مجراها بحرية دون قيود أو اضطهاد أتباعها والقعود لهم في كل مرصد .

كانت مكة المكرمة حاضنة الرسالة ، وفيها تربى جيل التأسيس على الإيمان بصلابة وعزيمة مع ما لاقوه من عنت واضطهاد وتعذيب وتكذيب ومقاطعة وافتئات وغير ذلك ، مما لم يفتّ في عضدهم أو يوهن عزائمهم أو يشككهم قيد أنملة بعقيدتهم وصحة توجههم ، وصِدق نبيهم صلى الله عليه وسلم .

ولكن كفار مكة وعتاتها وقفوا حاجزًا بين محمد صلى الله عليه وسلم والناس ، فأرهبوهم وأبعدوهم عنه ، وقاموا بحملات استباقية للقوافل والوفود التي تدخل مكة ، فيشوهون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتهمونه بالسحر والكذب وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، فلم يجد صلى الله عليه وسلم آذانًا صاغية ، فقريش لها مكانتها بين القبائل العربية ، وهي القائمة على حرم الله ، وهم أدرى – حسب ظنهم – بمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، وحتى عندما ذهب صلى الله عليه وسلم إلى القبائل في مضاربها سبقه عملاء قريش ، ليحذروهم منه ومن دعوته ، ويهددوهم إن لزم الأمر ، فلا تملك القبائل إلا الانحياز لقريش ، والإعراض عن محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حرصًا على مصالحها وتجارتها وتحالفاتها ، وقد ساومته إحدى القبائل أن تنصره على أن يكون لها المُلك من بعده ، فأبى صلى الله عليه وسلم ، فهذه دعوة ورسالة ، وليست ملكًا وسلطانًا ، والملك لله يعطيه من يشاء وينزعه عمن يشاء .

* عضو رابطة الكتاب الأردنيين واتحاد كتاب العرب .

ولما قيَّض الله وفدًا من الخزرج صدقوه وآمنوا برسالته ، فُتحت طاقة من فرج ، وأذن الله لدعوته أن تخرج للنور ، وأن تتخلص من أصفادها وحصارها ، وأن تحلق في آفاق الحرية والصفاء ، فكانت بيعة العقبة الأولى والثانية ، ومن ثم هجرة المسلمين متخفين خائفين وجلين ، ولكن ثقتهم بالله كبيرة ، وعزيمتهم لا يفلها تهديد قريش وكيدها وعيونها المترصدة ، ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن معظم أصحابه هاجروا ووجدوا الأمن والأمان والحياة الكريمة في كنف إخوتهم الأنصار من الأوس والخزرج ، أعد العدة لهجرته بسرية وكتمان ، فهو يعلم ما يترصده من قريش وما يعدونه لمنعه والتخلص منه والقضاء على بذرة الدعوة التي بدأت تنمو وتكبر في يثرب رغمًا عن أنوفهم ، وانتظر أن يؤذن له ، فلما جاءه الإذن من رب العالمين ، بدأ التحرك وفق الخطة التي رسمها بدقة ، ليفشل خطط قريش وتحركاتها ، ويرد كيدها إلى نحرها .

ولما هم بمغادرة مكة ، خاطبها قائلاً : { وَاَللَّه إِنَّك لَخَيْرُ أَرْض اللَّه ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّه إِلَى اللَّه ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْك مَا خَرَجْتُ } ( رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ) ، وما أصعب هذه اللحظات التي توهن الجسد ، وتدمي القلب ، وتنزع الروح ، كيف لا ؟ ! ومكة أطهر بقاع الأرض ، وأحب أرض الله إلى الله ، تحتضن بيت الله المعظم ، وإليها يحج الناس من كل فج عميق ، وهي مهوى الأفئدة ، ومحط الأنظار ، وفيها ولد ودرج وكبر وعمل وتزوج وأنجب ؟ يقصدها الناس من كل مكان ، وهو وأتباعه يهاجرون منها مضطرين مرغمين ؟ ولكنه أمر الله ، وأمر الله كله خير ؛ فهو الأدرى بما فيه مصلحة الرسالة ومستقبلها ، وهم إن خرجوا منها سرًا ضعفاء خائفين ، فلا بد أن يعودوا إليها علانية فاتحين منتصرين ، فهو وعد الله ، ولن يخلف الله وعده .

نعم ، كان المسلمون يزدادون في مكة تدريجيًا ، ولكنهم يعيشون ظروفًا صعبة ، ويلاقون صنوف الأذى والتضييق والحصار ، وقد قُطع الأمل من مكة وأهلها ، فلن تجد فيها الدعوة حريتها ، ولن تستطيع أن تتفتح وتنمو تحت الشمس وتؤتي أكلها ، فكان لا بد من الهجرة كمرحلة ضرورية لتقوم الدعوة على أرجلها ، وتقوى بأتباعها في يثرب ، ويصلب عودها ، وأن تأخذ فرصتها بالتدافع والصراع والاشتباك مع

الآخرين ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليعلم الناس طبيعة هذا الدين وكيف يكون واقعًا معاشًا .

لم تكن الهجرة النبوية حركةً عبثيةً ، أو رحلةً عاديةً ، أو قفزةً في الهواء ، بل كانت خطوةً حاسمةً بعد أن مهدت التربة ، وتهيأت الأجواء ، وتعلقت القلوب بالحبيب المنتظر صلى الله عليه وسلم . ولذا كانت الهجرة رحلةً مفصليةً لا رجعة عنها ، محفوفةً بالمخاطر التي لم تكن تخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتخذ الأسباب والتدابير المناسبة المحكمة للتغلب على العقبات وتجاوز المعوقات ، بل والتقدم على قريش وخطتها بخطوات إلى الأمام ، فاستبق قريشًا ، وصدمها بفعله وجرأته في الخروج ، فتخبطت في ردود أفعالها ، فلم يكن في حسبانها أن يتغلب عليها محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يُفشل كل خططها وتدابيرها ، فلم تدر ما تفعل ، وأخفقت في كل خطواتها ، ولم تجن إلا قبض ريح ، فانتكست وارتكست تعض أصابعها ، تضرس الحصى ، تأكلها نار الغيظ والقهر والصغار ، فقد هوت سمعتها إلى الحضيض ، ومرغت كرامتها بالأرض ، فأرعدت وتوعدت وعادت القهقرى وقد سُقط في أيديها ، وعمي بصرها وبصيرتها ، تفكر في تدبير جديد وخطة مختلفة ، فقد كانت بمحمد صلى الله عليه وسلم وحده ، ولكنها الآن في مواجهة محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه من المهاجرين واالأنصار في يثرب ، وتحولت قضيتها من خاصة بمكة وبطونها المتوافقة المتحالفة ، إلى مشكلة عامة عويصة تطال قبائل كثيرة في يثرب مع بُعدِ المكان وصعوبة الطريق .

كانت قريش تتحكم في إعلامها الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه ودعوته ، وتشن حملاتها الاستباقية والبعدية ، فلا يكذبها أحد ، أو يستطيع أن يشكك فيها أحد ، فمحمد صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيها ، وهي أخبر به ، ولكنه الآن في يثرب بين أتباعه ، يعيشون بأمان ، ويعملون بحرية ، لا سيطرة لها عليهم ، وسيرتهم وأفعالهم تحت الشمس ، متاحة للجميع دون تزوير أو تشويه ، وكل ذلك يضع مصداقية قريش وإعلامها تحت المحك ، ولن يطول الأمر حتى يكشف كذبها وظلمها وخداعها وزيفها ، وسيرتد إعلامها عليها وبالاً وخسرانًا .

وهكذا انتصر محمد صلى الله عليه وسلم الأعزل الوحيد إلا من صاحبه : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، انتصر على قريش وجمعها وما أعدت وخططت ومكرت ، وفي هذا بشرى بفتح من الله ونصر قريب ، ولعل هذا ما أيقنت منه قريش بعد أن طاش سهمها وأفلتت طريدتها ، فهي بعد أن عجزت عنه وحيدًا ، فأنى لها أن تنتصر عليه مع أتباعه الذين لا بد سيزدادون تباعًا بعد أن كشف زيف قريش وأكاذيبها ودعاياتها المسمومة وإعلامها المضلل .

لم تكن طريق الهجرة سالكة ، بل كلها عقبات ومشقات ، خاصة وأنها سلكت طرقًا غير معهودة ، ودروبًا غير مطروقة ؛ تجنبًا لأي مسافر أو لأي شخص يمكن أن يشكل خطرًا ، ويخبر قريشًا بمكان محمد صلى الله عليه وسلم ، فتسرع إليه بخيلها وخيلائها ، وقد كانت لتفعل لو وجدت إلى ذلك سبيلاً ، ولكن الله أعماهم وأصمهم ، ولم يعثروا له على أثر مع كل جهودهم ومحاولاتهم وما رصدوه من مائة ناقة لمن يقبض عليه حيًا أو ميتًا ، ولم يتعقبه إلا سراقة بن مالك ، ولكن الله منع نبيه منه ، فغاصت أرجل فرسه في أرض صلبة ، فعلم سراقة أن لا سبيل له إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه معصوم منه ، فطلب النجاة على أن يخفي أمره ، ويحرف وجهة من عزم اللحاق به .

ولما وصل صلى الله عليه وسلم يثرب ، كانت لحظة فارقة فاصلة في التاريخ ، وملحمة جديدة عظمى بدأت تكتب بأحرف من نور ، وسيرة عطرة لم تعهدها البشرية من قبل ، ونتائج لاحقة أبهرت المنصفين قديمًا وحديثًا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما نحن إلا من ثمار هذه الهجرة المباركة ، التي مكنت لدين الله في الأرض .

وما هي إلا عشر سنين ، حتى عاد محمد صلى الله عليه وسلم فاتحًا مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه ، فلم تملك قريش إلا أن تفتح أبواب مكة على مصراعيها ، وأن تُخلي الطريق للفاتح العظيم ، وتسلم له زمام أمرها ، فقد ظهر الحق وزهق الباطل ، وإن كانوا لم يحظوا بسبق الإسلام وشرف الهجرة ، فلا أقل من أن يهجروا عنادهم وكفرهم فيسلموا وينيبوا إلى ربهم وخالقهم ، علهم يحظون بشرف الصحبة ، وإلا فلن يكونوا شيئًا مذكورًا .

دراسات و أبحاث

# روايتا الإمامين يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن الحسن الشيباني دراسة مقارنة

الأخ مشاهد رضا بن محمد هارون *

الحمد لله الكبير المتعال ونحمده تمام الحمد على كل حال والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد في البكور والآصال وعلى آله وصحبه الراسخين رسوخ الجبال ، أما بعد .

فإن موطأ الإمام مالك بن أنس من أوائل ما صنف في الصحيح وسرعان ما اشتهر في جميع الأقطار وأصبح الإمام مالك وجهة المسلمين ورحلة المستفدين من سائر الآفاق من مصر واليمن وخراسان وأفريقية والأندلس وما إليها ثم حمله هؤلاء إلى بلادهم وتدارسوه في مجالسهم وحلقات دروسهم ومن أجل ذلك تعددت نسخه واختلفت رواياته قوة وضعفاً وزيادة ونقصاً عرف منها أكثر من ثلاثين رواية ومن أشهرها رواية يحي بن يحي الليثي ورواية محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة النعمان .

ولو قارن أحد بين هاتين الروايتين لوجد فيهما اختلافاً كثيراً ؛ في عدد المرويات وترتيب الأبواب والفصول وصيغة الرواية وغيرها مما يأتي ذكرها في السطور الآتية إن شاء الله ، وعلى الرغم من هذه الاختلافات تلقتهما الأمة بالقبول غير أن الأحناف تمسكوا برواية الإمام محمد وغيرهم تعلقوا برواية الإمام يحي الليثي الأندلسي . ومن ثم ارتفعت همة هذا الباحث الفقير للمقارنة بين الروايتين والله ولي والتوفيق وعليه التكلان .

**ترجمة المؤلف :**

هو الإمام الهمام حجة الإسلام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي [1] المدني الملقب بإمام دار الهجرة ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشحب

* باحث الماجستير في قسم الحديث وعلومه بجامعة دار الهدى الإسلامية ، كيرالا ، الهند . البريد الإلكتروني : mushahidraza786.92@gmail.com

[1] نسبة إلى أصبح قبيلة من يعرب بن قحطان .

بن قحطان .

اختلف العلماء في سن ولادته فذكر الشيرازي في طبقات الفقهاء أنه ولد سنة أربع وتسعين [1] بينما ذكر ابن خلكان أنه ولد سنة خمس وتسعين [2] وصرح الذهبي أنه ولد سنة ثلاث وتسعين [3] وتوفي الإمام سنة تسع وسبعين ومأة ضحوة رابع عشرة من ربيع الأول [4] .

**نبذة عن الكتاب :**

مما لا مجال للشك فيه أن كتاب الموطأ يحتل منزلةً ساميةً ومكانةً رفيعةً بين كتب الحديث النبوي الشريف فهو أول كتاب صنف في الصحيح [5] قال الإمام الشافعي : " ما في الارض بعد كتاب الله أكثر صواباً من موطإ مالك بن أنس " [6] . ولقد تلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول الحسن حتى صار ملتقى المذاهب ، يقول الإمام ولي الله الدهلوي بهذا الشأن : " . . . ومن تتبع مذاهبهم ورزق الإنصاف من نفسه علم لا محالة أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون " [7] .

[1] الشيرازي ، أبو إسحاق جمال الدين إبراهيم بن على الشافعي . طبقات الفقهاء . تحقيق وتقديم : إحسان عباس ، بيروت : دار الرائد العربي .

[2] ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار صادر . ١٣٥/٤ .

[3] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان . سير أعلام النبلاء . تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ٤٩/٨ .

[4] المصدر السابق ١٣٠/٨ .

[5] قال الحافظ مغلطائي : " أول من صنف في الصحيح مالك " . التنوير ٧ .

[6] ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري ، مؤسسة القرطبة ٧٧/١ . ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري . الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار . تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري ، مؤسسة القرطبة . ٢٠/١ .

[7] الدهلوي ، ولي الله احمد بن عبد الرحيم . المسوى من أحاديث الموطأ . تقديم ومراجعة وإخراج جديد : الشيخ سلمان الحسيني الندوي ، لكناؤ : المعهد العالمي للدراسات الشرعية بدار العلوم لندوة العلماء . ٥٠/١ .

**التعريف بالراويين :**

**يحيى بن يحيى الليثي :**

هو يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس الصمودي القرطبي أبو محمد الليثي [1] أصله من بربر تولى بني ليث فنسب إليهم ، ولد سنة ١٥٢هـ وتوفي سنة ٢٣٣هـ وقيل ٢٣٤هـ .

أخذ يحي الليثي الموطأ لأول نشأته من زياد بن عبد الرحمن المعروف بـ " شبطون " ثم ارتحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة [2] فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب من كتاب الاعتكاف فقيل إنه شك في سماعها عن مالك فأثبت روايته فيها من شيخه زياد بن عبد الرحمن وقيل لم يسمعها من مالك وإنما سمعها من زياد وتلك الأبواب التي لم يسمعها من مالك ثلاثة ؛ باب خروج المعتكف إلى العيد وباب قضاء الاعتكاف وباب النكاح في الاعتكاف [3] . أقام يحي الليثي عنده إلى أن توفي وحضر جنازته قال القاضي عياض : " كان لقائه بمالك سنة ١٧٩ السنة التى توفي فيها مالك " [4] .

وعلى هذا كان يحي الليثي سمع من مالك في أواخر عمره وقد كتب الله لروايته القبول وعكف عليها العلماء شرحاً لمعانيها وفقهها وتعريفاً برجالها وأسانيدها وعول عليها كثير من علماء المسلمين في دراستهم وشروحهم وتعاليقهم كابن عبد البر والباجي وابن العربي وغيرهم ، فصارت روايته أشهر الروايات حيث هي المتبادرة من الموطأ عند الإطلاق . قال قائل :

وحيثما موطأ قد أطلقا لها انصرافه لديهم حققا

---

[1] الذهبي . سير أعلام النبلاء . ٥١٩/١٠ .

[2] حذيري ، طاهر الأزهر . الكويت : مكتبة الشؤون الفنية ، ٢٠٠٨ . المدخل إلى موطأ مالك بن أنس . ١٠٣ .

[3] الدهلوي ، ولي الله أحمد بن عبد الرحيم . المصفى شرح الموطأ . ترجمة : الشيخ سلمان الحسيني الندوي . لكناؤ : المعهد العالي للدراسات الشرعية بدار العلوم لندوة العلماء . ٩٦/١ . الكاندهلوي ، محمد أبو زكريا . أوجز المسالك إلى موطأ مالك . اعتناء وتعليق : د/ تقي الدين الندوي . ( دمشق : دار القلم ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ) . ١٠٧/١ .

[4] السبتي ، القاضي عياض بن موسى . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي وعبد القادر الصحروي . ٣٨٠/٤ .

**منزلته في الرواية :**

لم يكن يحي الليثي – وإن كان عاقل الأندلس كما سماه شيخه – ضابطاً كل الضبط قال ابن عبد البر فيه : " لم يكن له بصر بالحديث " [1] . وقال الذهبي : " نعم ما كان من فرسان هذا الشأن بل كان متوسطاً فيه " [2] .

وبالرغم من تلك الأوهام كان يحي الليثي من أحسن أصحاب مالك نقلاً لموطئه قال الحافظ ابن عبد البر : " لعمري لقد حصلت نقله من مالك وألفيته من أحسن أصحابه نقلاً ومن أشدهم تخلصاً في المواضع التي اختلف فيها الرواة إلا أن أوهاماً وتصحيفاً في مواضع فيها سماجة " [3] .

هذه مكانة يحي الليثي في الرواية عن مالك فروايته متقنة إلا في مواضع يسيرة أحصاها العلماء واغتفرت له في جنب تثبته وإتقانه وأمانته .

**محمد بن الحسن الشيباني :**

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي صاحب إمام الأئمة أبي حنيفة النعمان من قرية يقال لها حرستا [4] . قدم أبوه العراق في الجند فولد له محمد بواسط ونشأ بالكوفة .

أخذ الإمام محمد الفقه من أبي حنيفة ثلاث سنين فلما انتقل إلى رحمة الله تلمذ على أبي يوسف حتى برع في الفقه . وأما الحديث فقد سمعه من أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من مشايخ كثيرة بالكوفة والبصرة والمدينة ومكة والشام وبلاد العراق بل جمع إلى علم أبي حنيفة وأبي يوسف علم الأوزاعي والثوري ومالك حتى أصبح لا يبلغ شأوه في الفقه ، قويا في التفسير والحديث ، حجة في اللغة باتفاق أهل العلم [5] .

قال الشافعي : قال محمد بن الحسن : " أقمت عند مالك ثلاث

---

[1] ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري . الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٠٩ .

[2] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥٢٣/١٠ .

[3] ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري . التمهيد . ١٠٢/٧ .

[4] الذهبي . سير أعلام النبلاء ، ١٣٤/٩ . ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي . البداية والنهاية . تحقيق وفهرسة ومراجعة بدار أبي حيان . ٢٦٠/١٠ .

[5] الكماخي ، عثمان بن سعيد . المهيأ في كشف أسرار الموطأ . تحقيق وتخريج : أحمد علي . القاهرة : دار الحديث . ١٦/١ – ١٨ .

سنين وكسرا ، وسمعت من لفظه أكثر من سبع مأة حديث "[1] .

وأخذ عنه الإمام الشافعي فأكثر جدا وأبو عبيدة وهشام بن عبيد الله وأحمد بن حفص فقيه بخارى وعمرو بن عمرو الحراني وعلي بن مسلم الطوسن وآخرون .

توفي الإمام محمد سنة ١٨٩هـ وكان في صحبة الخليفة هارون الرشيد فمات بنواحي بلاد الري هو والكسائي في يوم واحد فكان الرشيد يقول : " دفنت الفقه والعربية بالري "[2] .

**منزلته في الرواية :**

قد تشبث بعض العلماء بأذيال الطعن في الإمام محمد وإن كان فقيهاً مجتهداً . قال الذهبي : " لينه النسائي وغيره من قبل حفظه قال وكان قوياً في مالك "[3] .

قال الأستاذ عبد الفتاح أبو غده : " . . . فقد ظلمه جملة من المحدثين ظلماً شديداً لما كان عليه من الاجتهاد والعمل بالرأي والرأي عند الكثير منهم أو أكثرهم من خوارم الثقة بالراوي يذكرونه في ترجمة الراوي في جملة المغامز له ولو كان إماماً ثقة كل الثقة في الحديث مع أنه لا فقه بلا رأي ولا أحد من الأئمة المتبوعين والمعتبرين لم يعمل بالرأي فهم في نقد الراوي الذي لديه رأي يمشون على طريقة من لم يكن مثلنا فهو خصم لنا إنا لله "[4] .

والآن نرجع إلى قول النسائي : " وكان قوياً في مالك " فهذا لا يضره وعدم عداد الإمام محمد في المحدثين لا ينزل بروايته عن الاعتبار وكذلك كونه من أهل الرأي فإنه ليس بجرح فيه . وكل ما وجه من الطعون إليه مردود فقد طعن ابن معين والعجلي في الشافعي بأنه ليس بثقة وابن عدي في أبي حنيفة وأبو زرعة في البخاري والنسائي في أحمد بن صالح ، وهي طعون لم يعتبرها العلماء وما من عالم من العلماء إلا وقيل فيه شيئ من ذلك ، فقد سار في الآفاق " لا سلامة من ألسنة الناس " .

---

[1] الذهبي . سير أعلام النبلاء ، ١٣٥/٩ .

[2] ابن كثير . البداية والنهاية ٢٦٠/١٠ .

[3] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان . ميزان الاعتدال في نقد الرجال . بيروت : دار الكتب العلمية . ٤٣١/٧ .

[4] تقدمة بقلم الأستاذ عبد الفتاح أبي غدة على التعليق الممجد ٣١ .

**المقارنة بين الروايتين :**

مما لا مجال فيه للشك أن روايتي الإمام يحي بن يحي الليثي والإمام محمد بن الحسن الشيباني قد اشتهرتا كالشمس على رابعة النهار وطارتا في الأمصار كالطائر في الأقطار وتلقتهما الأمة المسلمة بالقبول لجلالة شأنهما وإطباق الأمة على إمامتهما ، فهما أشهر الروايات للموطأ إلا أن رواية الإمام محمد عرفت بين الأوساط العلمية بـ موطأ محمد كما سيجيئ الكلام على هذا الأمر في السطور التالية .

بيد أن صيت الروايتين ذاع في الشرق والغرب فهناك فروق بين منهجهما ولكل منهما فضل على الآخر من وجه ؛ فرواية يحي الليثي من آخر الروايات حيث سمع من مالك في آخر حياته وحضر جنازته فلها فضل على سائر الروايات والإمام محمد سمع الموطأ بتمامه من مالك كما مر وأما يحي الليثي فإنه لم يسمع ثلاثة أبواب من كتاب الاعتكاف وإنما سمعها من شبطون بن عبد الرحمن كما سبق آنفاً ومع هذا تختلف رواية محمد من حيث الكم والشكل والموضوع عن رواية الليثي فهي دونها حجماً وهي ليست على نسق رواية يحي من حيث ترتيب الأبواب والفصول . فجميع ما في موطأ محمد من الأحاديث المرفوعة والموقوفة على الصحابة ومن بعدهم مسندة أو غير مسندة ألف ومأة وثمانون [١] .

ومن الملحوظ أن يحي الليثي روى في الموطأ عن شيخه مالك فقط بينما يروي محمد عنه وعن شيخيه أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهم من المحدثين مما يجعل روايته فائقة وقد صرح بهذا عبد الحي اللكنوي في مقدمة التعليق الممجد بأن المشتمل على الزيادة أفضل من العاري عن هذه الفائدة [٢] .

- روى الإمام محمد عن مالك ألفاً وخمسة أحاديث .
- وعن غيره مأة وخمسة وسبعين منها عن أبي حنيفة ثلاثة عشر ومن طريق أبي يوسف أربعة والباقي عن غيرهما [٣] .

ومن سرح النظر على صيغة الرواية في هاتين الروايتين يجد أن

---

[١] اللكهنوي ، عبد الحي بن عبد الحليم الفرنجي محلي . التعليق المجد على موطأ الإمام محمد . تعليق وتحقيق : الدكتور تقي الدين الندوي . ١٤١/١ .
[٢] المصدر السابق ، ١٢٩/١ .
[٣] اللكهنوي . التعليق المجد ١٤١/١ .

يحي الليثي لا يستخدم إلا " حدثني " والإمام محمد لا يقول في روايته عن شيخه إلا " أخبرنا " ، والشائع في اصطلاح المتأخرين الفرق بين حدثنا وأخبرنا بأن الأول خاص بما سمع من لفظ الشيخ كـ سمعت والثاني بما قرأه بنفسه على الشيخ . قيل هو مذهب الأوزاعي والشافعي ومسلم والنسائي وغيرهم ، وعند جمع هما على نهج واحد وهو مذهب الحجازيين والكوفيين ومالك وابن عيينة والبخاري وغيرهم .

**المثال :**

من رواية محمد بن الحسن الشيباني :

أخبرنا مالك أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كنا نصلي العصر ثم يخرج الإنسان إلى بني عمرو بن عوف فيجدهم يصلون العصر [1] .

ومن رواية يحي بن يحي الليثي :

حدثني عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يقول إذا فاتتك الركعة فقد فاتتك السجدة [2] .

وامتازت رواية الليثي بوجود الجامع فيها الذي يذكر فيه بقية الأحاديث المذكورة المتعلقة بذلك الباب مثل باب جامع الوقوت [3] وباب جامع الوضوء وغيرهما .

وانفردت رواية الشيباني بوجود لفظ " الفصل " في بعض المواضع التي اختلفت فيه النسخ مثل فصل الوصية . قال اللكنوي : " هكذا في بعض النسخ وفي بعضها باب الوصية وهو المناسب لكلمات صاحب الكتاب سباقاً وسياقاً فإنه لم يترجم فيه لا قبله ولا بعده في موضع بفصل ويحتمل أن يكون الفصل على هذه النسخة بالضاد المعجمة فيكون المعنى هذا ذكر فضل الوصية " [4] . وهذا الذي أثبته عثمان بن سعيد الكماخي

---

[1] موطأ الإمام مالك برواية محمد الشيباني مع شرحه التعليق المجد ، باب وقوت الصلاة رقم الحديث ٤ . ١/١٧٠ .

[2] الموطأ برواية يحي الليثي . باب من أدرك ركعة من الصلاة . تحقيق : د/ محمود أحمد القيسية . ١/١٥ .

[3] المصدر السابق ١/١٦ .

[4] اللكهنوي . التعليق المجد ٣/١٤٦ .

في المهيأ [1] .

اشتمل موطأ يحي كثيراً على ذكر المسائل الفقهية واجتهادات الإمام مالك المرضية وكثير من التراجم ليس فيه إلا ذكر اجتهاده واستنباطه من دون إيراد خبر ولا أثر بخلاف موطأ محمد فإنه ليست فيه ترجمة باب خالية عن رواية مطابقة لعنوان الباب موقوفة كانت أو مرفوعة [2] .

مثال الباب الخالي عن الخبر والأثر : باب ما لا زكاة فيه من الفواكه والقضب والبقول قال مالك : " السنة التي لا اختلاف فيها عندنا والذي سمعت من أهل العلم أنه ليس في شيئ من الفواكه كلها صدقة ، الرمان والفرسك والتين وما أشبه ذلك وما لم يشبهه إذا كان من الفواكه " [3] .

والذي يلفت نظر من يطالع رواية محمد بن الحسن الشيباني أنه في كثير من الأحيان يخالف آراء مالك بسوق رواية أخرى من غير طريقه لدعم مذهبه ويؤيد مذهب أبي حنيفة وفي بعض الأماكن يخالف رأي شيخه أبي حنيفة أيضاً ويختار لنفسه مذهباً آخر ، فكان هذا مما سوغ لفريق من العلماء أن يسموه موطأ محمد بن الحسن . وبهذه المزية عد كتاب الموطأ من أوائل الكتب المصنفة في الفقه المقارن بين مدرسة أهل الحجاز ومدرسة أهل الكوفة كما أنه رسم للعلماء طريق الاجتهاد المستقل والتوسع في الاستنباط المطلق .

ولعل ما قصد إليه الإمام محمد من هذا المنهج يتفق مع ما نقل عن الإمام مالك في هذا الباب من قوله لأبي جعفر المنصور حينما أراد أن يحمل الناس على كتابه : " ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين أن تحمل الناس على قول رجل واحد يخطئ ويصيب ، وإنما الحق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرق أصحابه في البلدان وقلد كل بلد من الأمصار من صار إليهم ، فأقر أهل كل بلد على ما عندهم " .

وأما يحيى الليثي فإنه شديد الاتباع لمالك إلا في أربع مسائل فإنه

---

[1] الكماخي . المهيأ ٣٨٢/٣ .
[2] اللكهنوي ، التعليق المجمد ١٢٩/١ .
[3] الليثي . الموطأ ، كتاب الزكاة ، باب ما لا زكاة فيه من الفواكه والقضب والبقول ٢٣٢/١ .

أخذها عن الليث بن سعد المصري وهي :
١. أنه لا يرى القنوت في الصباح .
٢. أنه لا يرى القضاء بيمين وشاهد .
٣. أنه لا يرى تحكيم الحكمين في شقاق الزوجين .
٤. أنه لا يرى كراء الأرض [١] .

**مثال مخالفته لمالك :**

أخبرنا مالك أخبرني ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه كان يغتسل ثم يتوضأ فقال له : أما يجزيك الغسل من الوضوء ؟ قال : بلى ولكني أحياناً أمس ذكري فأتوضأ .

قال محمد : لا وضوء في مس الذكر وهو قول أبي حنيفة وفي ذلك آثار كثيرة [٢] .

ثم يعقب برواية أخرى تؤيد موقفه ؛ قال محمد : أخبرنا أيوب بن عتبة التيمي قاضي اليمامة عن قيس بن طلق أن أباه حدثه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل مس ذكره أيتوضأ ؟ قال : هل هو إلا بضعة من جسدك [٣] .

ومثال مخالفته لأبي حنيفة : ما أورده في أول كتابه عن أبي هريرة أن رافعاً مولى أم سلمة سأله عن وقت الصلاة فقال أبو هريرة أنا أخبرك : صل الظهر إذا كان ظلك مثلك والعصر إذا كان ظلك مثليك والمغرب إذا غربت الشمس والعشاء ما بينك وبين ثلث الليل فإن نمت إلى نصف الليل فلا نامت عيناك وصل الصبح بغلس .

قال محمد : هذا قول أبي حنيفة رحمه الله في وقت العصر وكان يرى الإسفار في الفجر وأما في قولنا فإنا نقول : إذا زاد الظل على المثل فصار مثل الشيئ وزيادة من حين زالت الشمس فقد دخل وقت العصر . وأما أبو حنيفة فإنه قال : لا يدخل وقت العصر حتى يصير الظل مثليه [٤] .

وختاماً أود سرد مزية خاصة لرواية محمد بن الحسن الشيباني من بين روايات الموطأ جمعاء وهي أنها تتمتع بوجود حديث " إنما الأعمال

[١] الكاندهلوي . مقدمة أوجز المسالك ١٠٨/١ .
[٢] اللكهنوي . التعليق المجد ١٩٨/١ ، رقم الحديث ١٢ .
[٣] المصدر السابق ٢٠٠/١ ، رقم الحديث ١٣ .
[٤] المصدر السابق ١٥٠/١ .

بالنية وإنما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[1] .

هذا الحديث أحد أركان الإسلام قد أخرجه جمع من العظام فرواه البخاري في " صحيحه " في مواضع ؛ في باب الوحي بلفظ " إنما الأعمال بالنيات " وفي كتاب النكاح بلفظ " العمل بالنية " وفي كتاب العتق بلفظ " الأعمال بالنية " وكذا في الهجرة وفي كتاب الأيمان بلفظ إنما الأعمال بالنية وكذا في كتاب الحيل . وعند مسلم في الجهاد " إنما الأعمال بالنية " وكذا أبو داود والنسائي وابن ماجة والترمذي وعند ابن حبان والحاكم " الأعمال بالنيات " . وهذه الطرق كلها تدور على يحيى بن سعيد عن التيمي عن علقمة عن عمر . وذكر ابن دحية أنه أخرجه مالك في " الموطأ " ونسبه الحافظ ابن حجر في " فتح الباري "[2] وفي " التلخيص الحبير "[3] إلى الوهم وقال : صدر هذا الوهم من الاغترار بتخريج الشيخين له والنسائي من طريق مالك ورده السيوطي في تنوير الحوالك بقوله في موطأ محمد بن الحسن عن مالك أحاديث يسيرة زائدة على ما في سائر الموطآت ، منها حديث إنما الأعمال بالنية[4] وبذلك يتبين صحة قول من عزى روايته إلى لموطأ ووهم من أخطأه في ذلك .

هذا ما كان في وسعي جمعه في هذه العجالة اليسيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأدعو الله تعالى أن يكون هو لي وأن يجعلها ذخيرة يوم لا ظل إلا ظله وأن ينفعني بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله رب العالمين .

---

[1] المصدر السابق ٥١٣/٣ ، رقم الحديث ٩٨٢ .

[2] العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري . الرياض : دار السلام ١٥/١ – ١٦ .

[3] العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر . التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير . اعتناء : أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب . مؤسسة قرطبة ٩١/١ – ٩٢ .

[4] نقلاً من شرح الزرقاني . ( د . ت ) . المطبعة الخيرية . ٨ .

# ظاهرة التغير الدلالي في اللغة العربية بين القديم والحديث

( الحلقة الثانية )

بقلم : الأخ محمد رافع الهدوي ممبادن *

**ثالثاً : خصائص التغيّر الدلالي :**

إن التغير الدلالي عبارة عن التطور التدريجي يحدث في الدلالة القديمة للألفاظ ، عندما يستعملها الناس في معنى جديد غير الذي استمرّ عليه فترةً محدّدةً ، فينتشر اللفظ في المعنى الجديد حتى يغلب على المعنى القديم ويتخلّى عنه في بعض الأحيان . ويعرّفه عبد الكريم محمد حسن جبل ، بأنه " التغير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن ، وتبدل الحياة الإنسانية ، فينقلها من طور إلى طور آخر " [1] ونستطيع تفسير هذا التغير في ضوء النظر إلى اللغة على أنها كائن حي تحيا في ألسنة المتكلمين بها ، وظاهرة اجتماعية تخضع لكل ما يعتري الظواهرَ الاجتماعية الأخرى ، وليس لها حياة إلا في المجتمع .

إن جميع لغات العالم تستسلم للتغيرات في كل عنصر من عناصر اللغة ، الثلاثة : الصوت ، والصيغة ، والدلالة . وبعد تحليل هذه العناصر نستطيع أن نقول بأن التغير اللغوي كثيراً ما يطرأ على العنصر الدلالي وأن أكثر العناصر القابلة للتغير في اللغات الإنسانية هي دلالات المفردات ، والصوت والصرف إذا استقرّا ذات مرّة لا تمسّهما تغيرات تُذكر . وذلك لأن " المفردات على العكس من الصوتيات عند الفرد ، لا تستقرّ على حال ، فكل متعلم يكوّن مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به ، فالإنسان يزيد وأيضاً ينقص من مفرداته ، ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج " [2] .

والتغير الدلالي يعتري جميع اللغات ، لكن بمقدار مختلفة . ويتّضح لك هذا من مطالعة تاريخية لألفاظ اللغتين العربية والإنجليزية ،

* باحث في مرحلة الدكتوراه ، جامعة جوهرلال نهرو ، نيو دلهي .

[1] في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباريّ للمفضليّات ، ص : ٣٣ .

[2] فندريس ، اللغة ، ص : ٢٤٦ .

فإنّ ثانيتهما كانت أخضع للتغيرات من الأولى ، لأن الإنجليزية إذا نظرت إليها من خلال أدبها ، بدءاً من أشعار جيفري تشوسير ( Chaucer Geoffrey ) ، ومضيْتَ من مسرحيات ويليام شكسبير ، واطلعت على الأعمال الحديثة فيها ، لَكِدْتَ أن تزعُم بأن كلّ واحد منها لغات على حدة ، ولا عجبَ فيها لأن مدى اختلاف مفرداتها وأسلوبها وبنيتها النحوية واسع جدّاً .

واللغة العربية أيضاً قد انقادت لظاهرة التغير ، لكن بدرجة أقل من الإنجليزية ، وذلك بمحاولات اللغويين العرب بوضع قواعد ، وضبط نواميس يحدّد صوتها وبنيتها ، بعدما وضع أبو الأسود الدولي مبادئ علم النحو العربية لأول مرّة . وللقرآن الكريم أثر عظيم في ضبط قواعدها كما يظهر من التاريخ . ورغم هذه المحاولات الجبّارة لا يمكن للغة العربية تجنّب التغيرات بأسرها ، لأنها ظاهرة كونية لا فرار منها لأي لغة ، مهما انضبطت قوانينها وانسجمت أحكامها . ولا يصحّ القول بأنها لم تتغير قط بعد القرآن وإن حافظت إلى حد كبير على مستوياتها ومعياريتها أكثر من غيرها من لغات العالم ، ومهما كان الأمر لا يسعنا إلا أن نتقبل أن اللغة العربية في حياتها الطويلة ، قد طرأت عليها تغيرات في هذا الجانب أو ذاك ، وأياً كان كنه هذه التغيرات ، فهي في نظر العلم " تغيرات " يجب أن تدرس دراسة موضوعية [١] .

### ١. التغير الدلالي والمجاز :

إن معرفة التغير الدلالي خاصةً في اللغة العربية يعتمد على الإلمام بالحقيقة والمجاز ، لأن الانتقال من المعنى الحقيقيّ إلى ما هو مجازيّ من أهمّ مظاهر التغير الدلالي بل أكثرها . يقول الشريف الجرجاني : الحقيقة اسم أريد به ما وضع له ، والمجاز اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما [٢] فالمعنى الحقيقي هو المعنى الذي وضع اللفظ بإزائه أوّلاً ، والمعنى المجازيّ هو المعنى الجديد الذي لحق اللفظ فيما بعدُ .

وقد تحدثت كتب العرب القديمة بما فيه الكفاية عن ظاهرة الحقيقة والمجاز ، ولكن التعامل معها من ناحية أنها موضع الحسن

[١] محمود السعران ، علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي ، ص : ٣٩ .
[٢] التعريفات ، ص : ٨٩ و ٢٠٢ .

والجمال في الخطاب ومظنّة البلاغة والأسلوب في الكتابة ، وليس هذا من صميم اهتمام البحث عن التغير الدلالي . لكن في بعض الأحوال يصير المعنى المجازي كالحقيقي ، ويكتسب درجة الحقيقة لكثرة استعمال الكلمة في المعنى المجازي . فيحدث هناك التغير الدلالي .

**٢. التغير الدلالي والاشتقاق :**

الاشتقاق ، كما يقول السيوطي في المزهر ، " أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئةً كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِرَ "[١] وهذا هو الاشتقاق المحتجّ به في اللغة ويُعرف بـ " الاشتقاق الأصغر "[٢] وبهذا الاشتقاق يزيد إنتاجية العربية ويستقبل التغيرات ويكيّف التطورات بحيث لا تخرج عن إطار القواعد والضوابط . وبهذا يمكن الإتيان بالألفاظ الجديدة من مادة مألوفة بقياس أوزان العربية المعروفة ، حتى يتأطر بالمعيارية بدون انحراف عن المستويات المقبولة . يقول فايز الداية : " إن الاشتقاق أداة تطورية دائمة للعربية "[٣] وذلك أن كثيراً من الأصول العربية غير مستخدم فيكثر من الأوزان الاشتقاقية المقبولة حسب القوانين . فيمكن أن يزداد عدد الصيغ باستخدام هؤلاء الأوزان من الأصول التي وصلت إلينا . فيتولّد معنى جديد من مادة أصلية قديمة . كما اشتقوا " الثلاّجة " من أصل " الثلج " .

**رابعاً : عوامل التغير الدلالي :**

إن من وظائف " اللغوي " أن يدرس العوامل التي تؤدّي إلى تطور اللغة ، حتى يمكنه أن يعكس صورة اللغة المستقبلة من خلال حاضرها ، فيدرك بأن اللغة ظاهرة اجتماعية ونفسية ، فمن المحتمل أن يعمل في تغييرها كل من العوامل الاجتماعية والنفسية ، مع العوامل من داخل اللغة نفسها ، متداخلاً كلّ منها بشكل معقّد ، بحيث يتعذر في غالب الأحوال رسمُ خطّ الفصل بينها . ولم يكتشف اللغويون حتى الآن

---

[١] السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ص : ٢٧٥ .

[٢] وهناك اشتقاق ابتكره ابن جني وأبو عليّ الفارسي ويُعرف بـ " الاشتقاق الأكبر " وهو الحفظ على المادة دون الهيئة مع اشتراك جميع تقاليب تلك المادة في المعنى المعيّن . وهذا الاشتقاق ليس لها علاقة بالتطور الدلالي .

[٣] فايز الداية ، علم الدلالة العربي ، ص : ٢٣٧ وما بعدها .

قوانين عامة ثابتة تربط تماماً جميع التغيرات في لغات العالم . وإن بيّنوا بعضاً من العوامل بقدر طاقتهم .

يدّعي غوستاف ستيرن ( Gustaf Stern ) أن بعضاً من التغيرات الدلالية يتسبّب عن العوامل الخارجية غير اللغوية ، بينما ينجم معظمها عن العوامل اللغوية النفسية . حيث إنه سرد سبعة من أصناف التغير الدلالي ، واحد منها مسبّب عن العوامل الخارجية ، والستة الأُخر عن العوامل اللغوية النفسية [١] غير أن هرمان بول ( Hermann Paul ) يزعم أن التغير في المعنى يلحق الكلمة عن طريق الكلام . لكن اللغوي الفرنسي أنتوان ميلت ( Antoine Meillet ) حصر عوامل التطور الدلالي على ثلاث مجموعات رئيسية ، وهي : العوامل اللغوية والعوامل التاريخية والعوامل تتعلق بالطبقية الاجتماعية . واقتبس منها كثير من العلماء والباحثين بعده . واقتفى ستيفن أولمان أيضاً خطاه [٢] أما اللغوي المصري عبد الواحد الوافي فإنه قد تناول عوامل التغير الدلالي بشيئ من التفصيل ، وعدّد الطوائف الثمانية من العوامل الداعية إلى التغير في دلالة الألفاظ .

**الأول : انتقال اللغة من السلف إلى الخلف :**

إن اللغة الحيّة تنتقل من السلف إلى الخلف على فترات عديدة تتخلّلها تغيرات وانحرافات ، دائمتين . وذلك لأنّ " الألسنة البشرية لا تتوقف عن التغير إلاّ إذا انقطعت عن الاستعمال فعدّت ألسنة ميتة تدرس كحقائق تاريخية " أثرية " [٣] فمفردات اللغة تستقبل دلالات جديدة عبرالأجيال ، لأنها خلقت ليتداولها الناس وليتبادلوا بها أفكارهم ، وهذا التبادل إنما يتمّ عن طريق الأذهان والنفوس ، التي تتباين بين كل فرد من أفراد المجتمع ، والدلالة تتشكّل تبعاً لها [٤] . فالانتقال من جيل إلى آخر يتعيّن أحد عوامل التغير الدلالي ، بل هو العامل الوحيد لدى هرزوج ( Herzog ) وأصحابه [٥] ويعمل هنا في استتمام عملية التغير عناصر ، من أهمها كثرة الاستخدام والخطأ سوء الفهم .

---

[١] Stern, G. (1931). Meaning and Change of Meaning, P. 170.

[٢] ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص : ١٥٤ .

[٣] عبدالسلام مسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص : ٣٩ .

[٤] زينة قرفة ، التطور الدلالي لألفاظ أركان الإسلام في القرآن الكريم ، ص : ٣٨ .

[٥] على عبد الواحد الوافي ، علم اللغة ، ص : ٣٢٣ .

**١. كثرة الاستخدام :**

يميل معنى المفردات إلى الحالات التي يكثر فيها استخدامها وتوظيفها . وكلّما ازداد استعمالها زاد تعرُّض معناها للانحراف عمّا كان عليه في الأصل ، لأن الذهن في كل مرّة يُدرِك من كلمة ما لم يدركه في المرّة السابقة ، ومع تطاول الزمن يكثر استخدام الكلمة في الدلالة الجديدة وينتشر بين المتكلمين ، حتى يسرع إلى أذهانهم المعنى الجديد إثر سماعهم لها ، ثم يتعوّد الناس مع الدلالة الجديدة ويألفونها . وبعد ذلك من الممكن أن تغني المفردات إلى اللحظة التي يظل المعنيان القديم والحديث مستعملين فيها جنباً إلى جنب [١] ويحتمل أيضاً أن تغلب الدلالة الجديدة على القديمة بسبب كثرة التوظيف .

فالاستعمال اللغوي يجعل العام خاصاً والخاص عاماً ، كما يحيل المجاز إلى الحقيقة . ومن أمثلتها الألفاظ الإسلامية كالصلاة والحج ، أزيل مع تقادم العهد عموم معناه وانحصرت دلالته على البعض . وعكس ذلك قد حدث في " القافلة "حيث انتقلت من " الرفقة الراجعة من السفر " إلى " المسافرين ذاهبةً كانت أو راجعةً " [٢] . وربما تؤدّي كثرة استعمال الكلمة في المعنى المجازي إلى أن يستحيل إلى المعنى الحقيقي . كما انتقل معنى " الغفر " من الستر إلى الصفح عن الذنوب [٣] .

**٢. الخطأ وسوء الفهم :**

إن سوء الفهم ربما يؤدي إلى تغير المدلولات ، حين تناقل اللغة عبر الأجيال . ولا يستطيع لجيل أن يفهم كل المعاني كما فهمه الجيل قبله على نحو مماثل ، والسلف أيضاً في دائرته ، ربما لا يدركون جميع المدلولات الجديدة ، بفضل التطور الحثيث في العالم والتغير الدائم في المجتمعات الإنسانية على مرّ العصور . فيفهم الفرد المعنى غير المعنى الأصلي ، مرتبطاً ذلك بسياق الكلام والبيئة ، ثمّ يستعمله في كلامه وكتاباته كما فهمه من التجربة . ومما يترتب عن سوء الفهم

[١] ماريو باي ، أسس علم اللغة ، تعريب أحمد مختار عمر ، ص : ١٥٧ .
[٢] أدب الكاتب ، ص : ٢٤ .
[٣] عودة خليل أبو عودة ، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ، ص : ٥٤.

التصحيف ، وهو التبادل بين الحروف المتشابهة في الشكل كالجيم والحاء والخاء ، أو الباء والتاء والثاء ، أو غير ذلك .

**الثاني : العوامل الاجتماعية :**

تتكوّن العوامل الاجتماعية من كل ما هو مقوّم للحياة الاجتماعية ، يتمثّل في حضارات الأمم وثقافاتها وعاداتها وأديانها واتجاهاتها الفكرية وسياساتها وبيئاتها الجغرافية ، ممّا له أثر في تحديد نمط حياة المجتمع وتعيين سلوكه . يعمل جميعها في تغيير المفردات من دلالة إلى أخرى بحسب المناسبات المختلفة ، لأن اللغة إنما تشكّلها طبيعة المجتمع وتنبعث عن الحياة الجمعية . والكلمات قد تكتسب معاني جديدة من عادة أو عقيدة أو غيرهما مثل قولهم " بنى على أهله " بمعنى تزوّج . وليس في أصل " البناء " معنى التزوج ، وإنما تسرّبت إليه من عادة كانت عليه العرب من أن يُضرب على الزوجة قبةٌ ليلة الزفاف [1] يقول دي سوسور وأنصاره بأن جميع المؤثرات في اللغة يرجع إلى الناحية الاجتماعية [2] فاللغة مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه المتكلمون في حياتهم . ومن عناصر هذا العامل ما يأتي :

**١. تغير طبيعة المدلول :**

وقد يكون السبب لتغير دلالة الكلمات أن نفس الشيئ المدلول عليه بالكلمة قد تعرض للتغيرات المتنوعة بفضل التطور الاجتماعي أو التكنولوجي ، ملبّيًا نداء الحاجة في العصور المتتابعة ، فتكون الكلمة باقيةً على حالها عبر التاريخ ومدلولها يختلف باختلاف الأزمنة . ومثال ذلك كلمة " الورق " قد تعرضت للتغيرات العديدة عبر العصور ، منذ أن كانت تدل على الورق المتّخذ من البرديّ ( Papyrus ) في الآماد المبكرة ، إلى أن تدلّ في الحال على الورق المتّخذ من لبّ الخشب . وإنما التقدم الفني في اتخاذ " الورق " هو الذي انعكس في اختلاف معانيها القديم والحديث [3] ومن أمثلة هذا النوع كلمات القطار والبريد والريشة وغيرها .

**٢. الحاجة :**

ذهب كثير محن العلماء إلى أن الحاجة هو العنصر الأساسي من

---

[1] جرجي زيدان ، اللغة العربية كائن حي ، ص : ٣٤ .
[2] عبد الواحد الوافي ، اللغة والمجتمع ، ص : ٨ .
[3] Ullmann, S. (1957 ), P.183.

العوامل الاجتماعية للتغير الدلالي . ويقولون بأن اللغة تتغير بحسب تغير حاجات الناس ورغباتهم . وقد قدّم مايكل هاليداي (M Halliday ) بهذا الصدد نظرية يعرف بـ " النظرية الوظيفية " ( Functional Theory ) للتغير اللغوي ، يدّعي فيها بأن التغير اللغوي إنما يحدث طبقاً لحاجات الناطقين بها [١] .

من الألفاظ التي أُحييت حياةً جديدةً وأُلبست معنى حديثاً حسب حاجيات الزمن المتطور : القنبلة ، والمِدفع ، والتسجيل ، والجرائد ، والمرور . فكلمة " القُنبلة " معناها الأصلي كما يروي ثعلب عن ابن الأعرابي : القنبلة : مصيدة يصاد حبها النُّهَس ( وهو طائر ) [٢] . وتغيرت دلالتها في العصر الحديث بعد أن اخترع الناس آلةً جديدةً ، واحتاجوا إلى تسميتها من جديد . فأحيوا هذه الكلمة المنثورة في معنى جديد ، وهو " جسم معدني محشو بالمواد المتفجرة يقذف به " [٣] . وقس على هذا الباقي .

**٣. تأثير الإسلام :**

إن الدين والحضارة من مكونات الحياة الاجتماعية ، لها تأثير في تغيير دلالات الألفاظ . فالإسلام قد ترك بصماته الواضحة الجلية في اللغة العربية ، وأثر فيها تأثيراً بالغاً حتى أدّى إلى تغيير دلالات كثير من الألفاظ ، وذلك لأن اللغة العربية مرتبطة بدين الإسلام ربطاً وثيقاً ، لا يكاد يوجد ما يغيرها من الأديان . ولما كانت هذه الدراسة عن العربية اقتصرت بدين الإسلام دون غيرها من الأديان .

ففي اللغة العربية كثير من الألفاظ تعرّضت دلالاتها للتغير بقدوم الإسلام كالألفاظ الإسلامية التي تركت معانيها القديمة مثل : الصلاة ، والزكاة ، والصّوم ، والكفر ، وما أشبهها . يقول الدكتور هادي نهر بهذا الصدد : " التطور الذي أصاب مجتمع ما قبل الإسلام بعد أن بعث الله في الناس رسولاً مبشّراً ونذيراً ، قد بانت نتائجه – فيما بانت – على اللغة ، وفقد دفعت العقيدة الجديدة المجتمع العربي إلى إبداع لغوي صحب هذه الثورة الدينية . . . ، فاستجدت كلمٌ ، وأميتت كلمات ، وتغيرت دلالات كثير من الألفاظ انحساراً أو اتساعاً ، أو استجدت لها دلالات لم

[١] Aitchison, J. (2004), P.145.

[٢] محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة ص : ٣١١/٩ .

[٣] أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ص : ١٨٦١/٣ .

تكن لها من قبل " [1] ولابن فارس أيضاً كلام طويل عنها ، في كتابه الصاحبي تحت عنوان " باب الأسباب الإسلامية " .

**٤. تأثير اللغات :**

إن اللغة دائمة الاتصال والتأثر بأخواتها من اللغات الأخرى ، بسبب انتشار متكلّميها في مختلف أنحاء المعمورة لأسباب التجارة والزيارة والمعاش وطلب العلوم والمستوطنات الجديدة . وإذا راقبنا لغات الناس بمحاذاة حدود المناطق اللغوية ، وجدنا تأثير اللغات المجاورة ظاهراً جلياً فيها . وهذا أكبر دليل على أن اللغات يتسرّب بعضها إلى بعض بقدر الاتصال والاحتكاك فيما بينها . فاللغات الأجنبية لها أيضاً أثر في التغيرات اللغوية بكل ما هو صوتية وصرفية ودلالية ، وكلّما طال الاتصال كثر التأثير بها . وبخصوص هذا تتعلّق " نظرية اللغة الغالب " ( Substratum Theory ) للتغير اللغوي ، حيث يزعم مؤيّدوها بأن أغلب التغيرات في اللغة إنما ينجم عن تسرّب العناصر اللغوية من الألسنة الأجنبية ، ويقولون بأن هذا الاحتكاك اللغوي كان عن طريق التجارة والغارات في الأيام الماضية ، بينما هو عن طريق التواصل الاجتماعي والنزوح في العصر الحديث [2] .

ومن أمثلتها كلمة " البُرج " نجد تأثير اللغة اليونانية في خلع معنى الحصن لها لأن بلاد العرب لم تكن فيها بيئة للحصون ، مع أن العربية تشتمل على مادة " برج " في قائمة مفرداته . وهي مادة عربية أصيلة ولكن ما لها علاقة بالحصون [3] فيستنتج بأن تأثير اليونانية خلع دلالة الحصن على كلمة " البرج " العربية .

**الثالث : العوامل اللغوية :**

قد تشتمل اللغة نفسها على بعض العناصر تؤثر في تغيرها . ويراد بالعوامل اللغوية كل ما يرجع إلى طبيعة اللغة وكلماتها وطبيعة أصواتها وقواعدها وأساليبها . ويشتمل هذا العامل اللغوي على عنصرين : الأول دور الصوت اللغوي والثاني دور القواعد اللغوية . فالعنصر الأول من العوامل اللغوية نراها حينما يكون صوت بعض الكلمات أو شكلها

---

[1] علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ص : ٦١٦ .

[2] ولمزيد المعلومات ينظر : Aitchison, J. (2004), P. 137-141

[3] إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص : ١٦٩ .

مماثلاً للبعض الآخر ، فينجم عنها تغير في دلالة بعض الكلمات منها . ولا ضرورة أن تكون هذه الكلمات كلها من لغة واحدة ، لأن بعض الكلمات الأجنبية أيضاً لها أثر في هذا التغيير بسبب المشابهة والمماثلة في شكلها وصوتها .

أما العنصر الثاني من العوامل اللغوية فهو حينما تذلّل القواعدُ اللغويةُ نفسُها السبيلَ إلى التغير الدلالي . خذ على سبيل المثال من اللغة العربية كلمة " الولد " . أصل دلالتها عموم المولود ذكراً كان أو أنثى . ومن الشواهد له قوله تعالى : { يُوصيكُمُ اللَّهُ في أَوْلَادكُمْ للذَّكَر مثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ } [1] و" في أَوْلَادكُمْ " أي الذُّكور والإناث [2] إجمالَ فصّلَه الله تعالى بقوله : " للذَّكَر مثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ " . لكن كثيراً ما تستعمل هذه الكلمة في الوقت الحاضر للدلالة على المولود الذكر دون الأنثى . فسبب هذا التخصيص في الدلالة هو تذكير الصيغة الصرفية لكلمة " الولد " كما في المثال ( ولد صغير ، لا يقال ولد صغيرة ) ، وهذا قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالمذكر ، فأخذت دلالتها تدنو شيئاً فشيئاً من هذا النوع من المولود [3] .

**الرابع : العوامل النفسية :**

لكل مجتمع حالة نفسية خاصة به تشكّلها عوامل متنوّعة من الديانة والحضارة . وهذه الحالة النفسية يتردّد صداها في اللغة التي يتكلّم بها ذلك المجتمع ، وربما تدعو إلى تغير في دلالات الألفاظ . ومن الدوافع التي تعمل وراءها هو الحقيقة الاجتماعية التي تسمّى بـ " اللامساس " .

إن اللامساس ( Taboo ) عنصر جذري من العوامل النفسية العاطفية تدعو إلى التغير اللغوي . وهو " مصطلح يطلق على كلّ ما هو مقدّس أو ملعون ، ويحرم لمسه والاقتراب منه لأسباب خفية ، سواء أكان ذلك إنساناً أم كلمةً أم شيئاً آخر " [4] ولكن لا يدعو اللامساس إلى تغيير المعنى بشكل مباشر ، بل يحظر بعض الكلمات من الاستعمال ، فينجم

[1] سورة النساء : ١١ .

[2] علي بن أحمد الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ص ، ٢٥٤ .

[3] محمد داود ، العربية وعلم اللغة الحديث ، ص : ٢٢٠ ، ينظر أيضاً علي عبد الواحد الوافي ، علم اللغة ، ص : ٣٢٢ .

[4] ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ( تعريب كمال محمد بشير ) ، ص : ١٧٤ .

عنها ما يسمّى بـ " حسن التعبير " أو " التلطّف " الذي هو السبب المباشر .
وإلى هذا أشار الثعالبي في مقدّمة كتابه " الكناية والتعريض " " هذا الكتاب خفيف الحجم . . . في الكنايات عما يُستهجن ذكره ويُستقبح نشره أو يُستحيا من تسميته ، أو يُتطيّر منه أو يُترفع أو يُتصوّن عنه ، بألفاظ مقبولة تؤدّي إلى المعنى . . . فيحصل المراد ، ويلوح النجاح ، مع العدول عمّا ينبو عنه السمع ، ولا يأنس به الطبع ، إلى ما يقوم مقامه ، من كلام تأذن له الإذن ولا يحجبه القلب . . . " [١] .

لا يخلو مجتمع من التمسك بقيم والتحفظ على شيم . فيحرّم موضوعات معينة ، كما يتجنّب من التعبير عن الأمور المستهجنة بعبارات مكشوفة . هكذا يُرسم قواعد ونواميس حتى في اللغة . وليس للفرد إلا اتّباع ما وضعوا ، ومحاكاة ما رسموا . " إذ ليس من اللّائق أن يتكلّم في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة ، أو بأنّها مما يجرح الحياء " [٢] والذي يدفع المجتمع إليها هو الحشمة والأدب واللياقة ، والتفاؤل والتشاؤم ، والفزع ممّا يحثّ المجتمع على حسن التعبير ، طبقا لثقافته ونمط تفكيره .

وإذا حُظرتْ كلمة من الاستعمال بعامل اللامساس أبدل الناس تلك " الكلمة الحادة بكلمة أقلّ حدة وأكثر قبولاً " [٣] فتندثر كلمة ذات دلالة مكروهة من الاستعمال وتتحمّل كلمة أخرى تلك الدلالة ، فيحدث في اللغة تغير دلالي . ويعرف هذه العملية بـ " حسن التعبير " و " التلطّف " و " تحسين اللفظ " و " التسميل " [٤] ويمكننا ملاحظة هذا اللامساس في طوائف معيّنة من الكلمات . كالكلمات المستقبحة التي تتصل بالقذارة والدنس ، والكلمات التي يُستحيا من تسميتها كألفاظ العملية الجنسية والتبوّل والتبرّز وأعضاء التناسل ، والكلمات التي تعبّر عن فكرة الموت أو الأمراض والأشباح والعالم الروحي .

وفي اللغة العربية كثير من أمثلة حسن التعبير الناتجة من الكياسة والتأدب خصوصاً بعد مجيء الإسلام . وقدّم القرآن خير نموذج

[١] الثعالبي ، الكناية والتعريض ( تحقيق عائشة حسين فريد ) ، ص : ٤ .
[٢] فندريس ، اللغة ، ص : ٢٨٠ .
[٣] أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص : ٢٤٠ .
[٤] تعرف في الدراسات الغربية بمصطلح " Euphemism " .

لذلك حيث " كنى عن العملية الجنسية بألفاظ كريمة ، هي الستر والحرث والإفضاء والمباشرة والملامسة والدخول والرفث " [1] وكذلك الألفاظ التي تتعلق بالتبوّل والتبرّز ، لا يستعمل بكلمات صريحة ، بل يكنى عنها بعبارات كريمة ، ليس فيها ذلك المعنى المباشر . منها كلمة " استنجى " . يقولون قد استنجى الرجل ، معناه إذا تمسَّح بالأحجار ، أو غسل الموضع بالماء ، وأصل هذا من النجوة ، والنجوة ما ارتفع من الأرض . فكان الرجل إذا أراد قضاء الحاجة ، طلب النجوة من الأرض ، ليستتر بها [2] وتجد هذا في كل من الكلمات : الغائط والمِرحاض والكنيف وبيت الراحة وبيت الأدب والمستراح والمبرز والمراح .

والكلمات التي تعبر عن فكرة الموت أو الأمراض أو الأشباح تخلق في قلوب الناس الخوف والرعب ، فينفرون سماعها ، ويستبدلون عنها بكلمات أقلّ حدة ووضعاً في نفوسهم ، فراراً ممّا يبعثه في نفوسهم من تذكّر المصائب والآلام . فهذه الكلمات أكثر الألفاظ عُرضةً للتغيّر . ولذلك نجد لدلالة الموت كثيراً من الكنايات تقلّ حدّتها في النفوس كما يقال " توفي " و " رحل إلى جوار الله " و " فاضت روحه " و " انتقل إلى رحمة الله " و " استأثر الله به " و " قضى نحبه " و " اختاره الله " .

ولم يكن اللامساس أو المحظورات اللغوية منحصراً في المجتمعات البدائية ، بل ساد في جميع الأمم والحضارات . ومن الممكن أن يُعتبر مفهوم اللياقة السياسية ( Political Correctness ) صورة حديثة للامساس . هي نوع من حسن التعبير تعّبر عن حسن اختيار المصطلح المؤدَّب الذي لا يثير الفرقة والنزاع ويتحاشي جرح شعور الآخرين ، خصوصاً عند الإشارة إلى فئات عرقية أو ثقافية . ومنها استعمال " ذوو الاحتياجات الخاصة " بدل المعاقين ، و " المكفوفون " بدل العميان ، باعتبار هذه اللياقة .

( للمقال صلة )

---

[1] تجد تلك الاستعمالات في الآيات القرآنية التالية : سورة البقرة : ١٨٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، وسورة النساء : ٢١ ، ٤٣ ، ٢٣ والمائدة ٦ .

[2] ابن الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، ص : ٤٢/١ .

# جهود ندوة العلماء في مجال نشر اللغة العربية وآدابها

الدكتور عبيد الرحمن الندوي*

**اللغة العربية في الهند :**

إن اللغة العربية من أهم اللغات العالمية الحية وأعرفها ، من غير ريب ، ودراستها متواصلة منذ القدم في الهند وفي سائر أرجاء المعمورة بوجه عام ، أما العلاقات الهندية العربية فإنها قديمة قدم التاريخ ، بدءاً من العلاقات التجارية وحتى العلاقات السياسية والثقافية عن طريق الرواد العسكريين والقادة ، ولم يكن دخول الإسلام وانتشاره في الهند حدثاً حضارياً مهماً فحسب ، بل كان فاتحة عهد جديد؛ عهد أسبغ على الهند نعمه ظاهرة وباطنة وأفاض عليهم عطاءات قيمة ، حتى قامت دول إسلامية دامت أكثر من ثمانية قرون ، ملأت الهند بخيراتها وما فيها من العلوم والفنون والثقافة والآداب ، اعترف بفضلها المؤرخون في كل عصر ومصر .

أما بالنسبة إلى اللغة العربية وآدابها فإنها نالت نصيبها الوافر في هذه البلاد ، تأسست فيها مدارس عربية ومراكز ثقافية وآثار تاريخية منوعة ، واستلفتت أنظار عباقرة من العلماء العرب والمسلمين من أمثال أبي الحسن المسعودي ، وأبي ريحان البيروني وابن بطوطة ، وقد كانت الهند ولا تزال معقلاً من المعاقل العربية الإسلامية يضاهي العالم العربي بكثرة علمائها الأفذاذ في مجال اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر رضي الدين حسن الصغاني اللاهوري مؤلف " العباب الزاخر واللباب الفاخر " و " مجمع البحرين في اللغة " و " مشارق الأنوار " ، ومحمد مرتضى الزبيدي مؤلف " تاج العروس في شرح جواهر القاموس " للفيروز آبادي ، ومحمد علي بن أعلى التهانوي صاحب " كشاف اصطلاحات الفنون " ، وأبو الفيض فيضي صاحب " سواطع الإلهام " ، وشيخ الإسلام ولي الله الدهلوي مؤلف " حجة الله البالغة " ، والأمير صديق حسن خان ، صاحب " أبجد العلوم " ، ومحمود حسن التونكي ، صاحب " معجم المصنفين " ، ومحب الله البيهاري ، صاحب

* أستاذ دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ ( الهند ) .

" مسلم الثبوت " ، وعبد الحي الفرنكي محلي ، صاحب " الفوائد البيمة " ، والسيد غلام علي آزاد البلكرامي ، صاحب " سبحة المرجان في آثار هندوستان " ، والسيد عبد الحي الحسني ، صاحب " نزهة الخواطر " ( الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ) ، والعلامة عبد العزيز الميمني ، صاحب " أبو العلاء وما إليه " ، وحميد الدين الفراهي ، صاحب " جمهرة البلاغة " ، و " ديوان الشعر العربي " ، والعلامة أبي الحسن الندوي ، صاحب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " [1] .

ومما لا مجال فيه للشك أن اللغة العربية لغة العقيدة الإسلامية والعبادة الإسلامية ، ولغة الإسلام الرسمية لكونها لغة كتاب الله العزيز والحديث الشريف : المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي .

**ذكر العربية في القرآن الكريم :**

هذا ، وقد ورد ذكر العربية في القرآن الكريم – في سياق التكريم والاحتفاء بها من حيث كونها لغة كتاب الله – في أكثر من عشرة مواضع [2] ، وهي فيما يأتي :

١. " وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " [ الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥ ] .
٢. " وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ " [ الأحقاف : ١٢ ] .
٣. " وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا " [ طه : ١١٣ ] .
٤. " وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " [ الزمر : ٢٧ – ٢٨ ] .
٥. " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ " [ فصلت : ٣ – ٤ ] .
٦. " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ " [ الزخرف : ٣ – ٤ ] .

---

[1] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين للدكتور أشفاق الله ، ص : ١ – ٢.
[2] كتاب العربية والأدب ، للأستاذ نعمان الدين الندوي ، ص : ٢٩ . ( نقلاً من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ) ( التحرير ) .

٧. " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ " [ الشورى : ٧ ] .
٨. " وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ " [ الرعد : ٣٧ ] .
٩. " وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " [ النحل : ١٠٣ ] .
١٠. " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ " [ فصلت : ٤٤ ] .
١١. " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " [ يوسف : ٢ ] .

ووضّح الرسول صلى الله عليه وسلم فضل اللغة العربية بقوله :

" أحب العربية لثلاث : أنا عربي ، ولغة القرآن عربية ، ولغة أهل الجنة عربية " .

وكانت اللغة العربية في الهند تُدرس كمفتاح لفتح الكنوز العلمية الإسلامية ، ثم بشغف العلماء بها وحبهم ، فاختاروها لغة للتعبير عن هواجس قلبهم وعواطفهم النبيلة ، وولاءهم وحبهم إلى الرسول العربي الكريم .

**إسهامات الهند في تطوير النثر العربي :**

إن الدكتور أشفاق أحمد يقول :

" إن للهند دوراً بارزاً في تنشئة اللغة العربية ، وللهنود إسهامات كبيرة في تطوير النثر العربي ، وهذه حقيقة باهرة لا يستطيع رفضها كل من يتولى مسئولية البحث والتحقيق عن العلوم الدينية الإسلامية والإنتاجات الأدبية في شبه القارة الهندية ، ولقد أنجبت الهند عدداً كبيراً من رجالات اللغة والإنشاء والأدب وجهابذة الدين والعلم والعرفان الذين امتلكوا ناصية اللغة العربية وآدابها بمختلف نواحيها وأشكالها ، وقد شهد لهم علماء العرب وكتابهم بالفضل ، ومن هنا انكبوا على كتب العلماء والأدباء الهنود ينقلون ويستنبطون منها دلائلهم وبراهينهم " .

اتخذت اللغة العربية بعد استقلال الهند مكانة أهم لغات العالم لتوثيق العلاقات التجارية ، والاتصالات السياسية ، والروابط الودية بين هذين الجزئين الهامين من العالم ذلك لأوجه شبه كثيرة كانت تتحكم في تطور اللغة العربية ، منها مكافحة رواسب الاستعمار والصمود في وجه الغزو الفكري الغربي ضد الحضارة الشرقية العريقة ، فنالت اللغة العربية

الاهتمام من الجهات الرسمية بجانب الاهتمام بها في المدارس الدينية لتعزيز الروابط بين الهند والعالم العربي ، وجميع المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية ، ولذلك فتحت أقسام لدراسة اللغة العربية في معظم الجامعات الرسمية ، وأقسام لدراسة الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية .

وتعزز هذا الاتجاه بانعقاد مؤتمرات عديدة في الهند اشترك فيها علماء وباحثون من العالم العربي ، ومؤتمرات عالمية انعقدت في العالم العربي حضرها علماء هنود ، وتبادلت فيها وفود الباحثين والدارسين والخبراء من الهند والعالم العربي الأفكار والآراء ، كما جرى تبادل الطلبة والمدرسين بين الجامعات الهندية والعربية ، كل ذلك ساعد على توثيق الصلة باللغة العربية ، وإحداث الشغف بها في الطامحين لمستقبل أفضل ، ونشأت حاجة إلى فتح معاهد لتعليم اللغة العربية العصرية ، كلغة التخاطب ، ولغة الكتابة والتكلم معاً لتعزيز الصلات بين الهند والعالم العربي ، ففتحت الحكومة عدة معاهد لهذا الغرض ، منها معهد اللغات التابع لوزارة الدفاع في دلهي ، وبونه ، والمعهد المركزي للغات الأجنبية في حيدرآباد ، ومعاهد أخرى تابعة لمختلفة وزارات الحكومة ، وقد خرّجت هذه المعاهد عدداً ممن يتقنون اللغة العربية ، ولتسهيل تعليم اللغة العربية صدرت عدة كتب لتعليم اللغة العربية ، والترجمة وأعدت مناهج مختصرة لإعداد المترجمين للعمل في وزارة الخارجية ، ووزارة العمل ، والسفارات ، فنال تعلم اللغة العربية تشجيعاً مادياً وعلمياً توسع بذلك نطاق انتشارها .

ويرجع الفضل الكبير في تحويل انتباه الحكومة إلى أهمية اللغة العربية علاوة على عامل التطور الاقتصادي إلى وزير المعارف الأول في حكومة الهند مولانا أبي الكلام آزاد ( م ١٣٧٧هـ ) [1] الذي أنشأ المجلس

[1] كان من قادة حركة تحرير الهند ، وتولى رئاسة المؤتمر الوطني مدة من الزمن ، وكان لمجلتي " الهلال " و " البلاغ " اللتين أصدرهما مولانا أبو الكلام آزاد ، تأثير كبير في نفخ روح الجهاد والكفاح ، وإيقاظ المسلمين من سباتهم ، وقد دافع بقوة عن الخلافة العثمانية ، وهاجم الإنجليز في كتاباته المثيرة وخطبه ، وسجن عدة مرات ، وفي عهد رئاسته للمؤتمر الوطني وتحت إشرافه وتوجيهه نالت الهند الاستقلال ، وله في حركة استقلال الهند والكفاح الوطني أوفر نصيب يمكن أن يكون لزعيم وطني صرح به الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه " المسلمون في الهند" ، وقد اعترف بذكائه ولباقته وحنكته السياسية والفطنة للدقائق الدستورية

الهندي للعلاقات الثقافية بدلهي ، وأصدر مجلة عربية "ثقافة الهند" ، فكانت هي المجلة الأولى باللغة العربية التي صدرت تحت رعاية وزارة المعارف وأشرف على إدارة تحريرها الأستاذ عبد الرزاق المليح آبادي الذي درس في ندوة العلماء ، ثم في الأزهر ، وكان ذا صلة وثيقة بمولانا أبي الكلام آزاد بمجرد توثيق العلاقات الثقافية بين الهند والعالم العربي ، كما أعد المجلس برنامجاً لتبادل الطلبة والأساتذة باهتمام خاص بالعالم العربي .

**فضل ندوة العلماء في تطوير اللغة العربية :**

والعامل الثاني وهو أهم عوامل تطور اللغة العربية العصرية في الهند ، يرجع فضله إلى ندوة العلماء ، لكناؤ ، وهي الجامعة الإسلامية الأولى التي جعلت نصب أعينها توثيق الصلة باللغة العربية المعاصرة ورجالها ، واستخدمت في ذلك جميع الوسائل الكفيلة بتطوير الذوق العربي الحديث وإحداث ملكة الكتابة والخطابة بهذه اللغة بدون تضحية الذوق والكفاءة لفهم العربية القديمة لكيلا تضعف قوة فهم الكتب القديمة ، ومراجع العلوم الإسلامية ، وكان هذا الهدف المنشود عملاً خطيراً وصعباً ، لأن الجمع بين الذوقين الذوق الكلاسيكي والذوق العصري قد يبدو مستحيلاً ، لكن الجامعة وفقت إلى أكبر حد بوجود شخصيات علمية عربية وهندية مخلصة كالدكتور محمد تقي الدين الهلالي المراكشي ( م ١٤٠٧هـ ) ، وبفضل جهود هذين العالمين أنجبت ندوة العلماء الجيل الأول من المتذوقين باللغة العربية العصرية ، وعلى رأسهم العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والشيخ مسعود عالم الندوي .

ويتجلى هذا الحرص على جعل اللغة العربية لغة التفاهم في مؤلفات العلامة عبد الحي الحسني في التاريخ ، وتراجم العلماء ، كما ألف الدكتور السيد سليمان الندوي كتباً دراسية لتسهيل اللغة العربية الحديثة [١] .

ولا شك في أن ندوة العلماء تأسست على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي منهاج الدرس فحذفت وزادت وعينت وأصلحت في

---

أعضاء البعثات وممثلو الدول والزعماء والقادة .

[١] حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج للأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ ( الهند ) ، ص : ١٣٢ – ١٣٧ .

منهاج التعليم وحذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية وأعطت القرآن حقه من العناية وألزمت تدريس القرآن والحديث وزادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها ، لأن اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الأدبية مع الشعوب الإسلامية كما صرح بذلك الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في كتابه الشهير " المسلمون في الهند " فيقول :

" عنيت ندوة العلماء بصفة خاصة بالقرآن – الرسالة الخالدة – وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل وعنيت دار العلوم لندوة العلماء باللغة العربية التي هي مفتاح فهم القرآن وأمينة خزائنه ووجهت عنايتها إلى تعلم هذه اللغة العربية الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب ، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسفار كما كان الشأن في الهند [1] .

كان موقف ندوة العلماء منذ تأسيسها إزاء اللغة العربية موقف لغة حية تكتب ويخطب بها لا كلغة أثرية دارسة عتيقة كما كانت في الدرس النظامي ، فإن اللغة العربية تدرس في المدارس الإسلامية في الهند قبل ذلك أيضاً لكن لا كلغة حية متدفقة بالحياة والقوة يمكن التكلم بها والتعبير عما في الصدور كتابة وخطابة بل كانت تدرس كلغة أثرية لابد لطالب العلوم الشرعية من تعلمها لمطالعة الكتب العربية القديمة ومراجعة المراجع والمصادر الإسلامية المكتوبة باللغة العربية ، أما تعلم اللغة العربية تكلماً وخطابة وكتابة فلا يخطر ببالهم ، ولكن رجال ندوة العلماء هم الذين اضطلعوا قبل الجميع في الهند بأعباء نشر اللغة العربية كلغة حية راقية وتدريسها كتابة وخطابة كما يكتب الأستاذ أنور الجندي عن العلامة شبلي النعماني رحمه الله :

" فقد دعا شبلي النعماني إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمي الهند وحاول تنفيذه في دار العلوم ويرى هذا المنهج إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة كما دعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت تدرس في العصر العباسي " [2] .

---

[1] المسلمون في الهند ، ص : ١١٣ .
[2] مناهج الدراسات العربية في الهند ، ص : ١٤٨ .

ويتحدث الدكتور سعيد الأعظمي الندوي عن عناية ندوة العلماء بالعربية كخطوة ثورية ويقول :

" قام رجال ندوة العلماء وأبناؤها قبل الجميع بهذه الخطوة الثورية التي كانت تعتبر بدعة لدى كثير من الناس وركزوا على هذه النقطة تركيزاً قوياً ووضعوا منهاجاً جديداً للتعليم الديني وجعلوا اللغة العربية هي لغة تدريس المواد العلمية وبهذا أنقذوا الأدب العربي من ذلك الحصار الضيق الذي كان محبوساً فيه بين المقامات الحريرية ونفحة اليمن والعرب وديوان المتنبي ، إنهم أخرجوه لأول مرة إلى الجو الواسع حيث تنفس الصعداء ونال مجالاً واسعاً للتطور والتقدم والتوسع فخرج من أساليب السجع والقوافي والتصنيع المشين إلى أسلوب طبيعي أصلي ودخل في جميع أصناف العلم والفن وعرف الناس أن الأدب العربي ليس كما كانوا يزعمون محصوراً بين عدة كتب لا يمكن أن يتجاوزها إلى غيرها وأن اللغة العربية أصعب اللغات لا يمكن التكلم بها والتعبير بها عن ذوات الصدور " [1] .

**الأساتذة العرب في ندوة العلماء :**

فقد بذلت ندوة العلماء جهوداً جبارة في مجال نشر اللغة العربية كلغة حية راقية متدفقة بالقوة والحياة وجعلتها لغة الكتابة والخطابة والصحافة في الهند وللحصول على هذه الغاية لم يكتف رجال الندوة بأساتذة الهند ، بل استدعوا لهذا الغرض أدباء بارعين من أهل العرب كالدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، والشيخ محمد بن حسين الخزرجي اليماني ، والشيخ محمد طيب المكي ، والأستاذ محمد العربي الهلالي .

" فأنجب هؤلاء الأساتذة العرب بمساعدة رجال الندوة جيلاً من تلاميذ بارعين أتقنوا اللغة العربية كتابة وخطابة ودراسة وتذوقوا الأدب العربي حيث إنهم فاقوا بعض الأحيان أدباء العرب في صدق اللهجة وجمال التعبير ورصانة البيان ونضوج الأسلوب ، الأمر الذي أقر به العلماء والأدباء في البلاد العربية ، ويجدر بالذكر منهم العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوي ، وأديب العربية الكبير مسعود عالم الندوي ، والأستاذ محمد ناظم الندوي والأستاذ عبد الرحمن الكاشغري الندوي وغيرهم من

[1] الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، ص : ٤٧ – ٤٨ .

العلماء والأدباء "[1] .

**مجالات مختلفة للغة والأدب :**

إن جهود ندوة العلماء في مجال نشر اللغة العربية وآدابها منقسمة في مجالات مختلفة : مجال الكتابة والصحافة وإعداد المقرر الدراسي الجديد وتسهيل تعلم اللغة العربية وغيرها ، أما مجال الكتابة فإن الكتب التي ألفها وصنفها أبناء الندوة باللغة العربية في فنون مختلفة متنوعة يبلغ عددها إلى آلاف ، وأما مجال الصحافة العربية فمجلة الضياء ، والبعث الإسلامي التي لا تزال تصدر على ميعادها وصحيفة الرائد تؤدي دورها القيادي في مجال الصحافة منذ نصف قرن أو أكثر في الهند وخارجها .

أما مجال إعداد المقرر الدراسي الجديد وتسهيل تعلم اللغة العربية فحازت فيه ندوة العلماء قصب السبق فيكتب الأستاذ الدكتور محمد طارق الأيوبي الندوي :

" بذلت ندوة العلماء مجهوداتها في إعداد المقرر الدراسي الجديد إلى أن صدرت كتب مهمة مفيدة نالت الإعجاب والتقدير لدى أدباء الهند والعرب أمثال قصص النبيين والقراءة الراشدة ، ودروس الأشياء ومعلم الإنشاء ، ومختارات من أدب العرب ، ومنثورات والأدب العربي بين عرض ونقد ومختار الشعر العرب وتمرين الصرف والنحو وعلم التصريف وما إلى ذلك حتى يكون تعليم اللغة العربية وتدريسها سهلاً نافعاً "[2] .

ومعلوم أن جهود ندوة العلماء في نشر اللغة العربية وآدابها تفوق كل تقدير ولا تحتاج إلى برهان وحجة ، بل إنها واضحة ظاهرة كالشمس في رابعة النهار ، ولم تزل ندوة العلماء تحمل راية نشر اللغة العربية وآدابها وتبذل جهوداً ملموسة في مجالات مختلفة من الصحافة والكتابة والخطابة وتعليم اللغة العربية كلغة حية متدفقة بالقوة والحياة ولا سيما الصحافة ، فإن دور ندوة العلماء في نشر الصحافة العربية دور رائد لا مثيل له في تاريخ الهند .

فمن هذه الناحية أي ناحية نشر اللغة العربية في الهند كلغة حية راقية لا يمكن أن تنسى جهود ندوة العلماء أبداً فإنها أنجبت طائفة من الأدباء

---

[1] الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، ص : ٤٩ .
[2] الأدب الإسلامي رؤية وتاريخ ، ص : ١٤٠ .

البارعين في اللغة العربية وأسست الصحافة العربية في الهند ، يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوي ( رحمه الله تعالى ) :

" وقد خرَّجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفةً من الكتاب البارعين في اللغة العربية وأوجدت نشاطاً أدبياً ملحوظاً في الهند ومحصولاً ذا قيمة أدبية لا يجمل لمؤرخ الأدب العربي أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية في الأقطار الإسلامية ويذكر مدارسها المختلفة [1] .

وأبرز خدمة قام بها أبناء ندوة العلماء في مجال اللغة العربية هي أسلوبهم الجميل المنفرد ، فيقول الشيخ الندوي :

" لا يمكن لمؤرخ منصف للأدب العربي أن يصرف النظر عن الكتابات الرائعة لأدبائنا الندويين والأسلوب الذي توجد فيه الحلاوة الأدبية والروح الإيمانية الدعوية في وقت واحد " [2] .

وما هذا الأسلوب الذي ذكره الشيخ الندوي وهذا الأسلوب الذي سماه أهل الأدب بأدب الدعوة والأدب الإسلامي ، إلا ويرجع الفضل في نشر هذا الأسلوب الإسلامي الدعوي إلى الشيخ الندوي رحمه الله ، فإنه قام بخدمات جليلة في إنقاذ الأدب العربي من الإطار الضيق الذي صنعها الأدباء المحترفون حول اللغة العربية والأدب العربي وأخبر العالم أن الأدب العربي ليس بمحصور في الكتب الأدبية فقط بل توجد أمثلة ونماذج أدبية أروع من الكتب الأدبية في الكتب الدينية والتاريخية والدعوية ولم يكتف بالقول بل جمع نصوصاً أدبيةً راعيةً من الكتاب والسنة والكتب الدينية والدعوية والتاريخية في كتاب سماه بالمختارات من أدب العرب .

وقد اعتنت ندوة العلماء باللغة العربية منذ أول يومها وركزت على تعلمها كلغة حية أشد تركيز كما يقول الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي :

" ركزت ندوة العلماء على تعليم اللغة العربية والكتابة بها كلغة حية متحركة متدفقة بالحياة والقوة وهيأ مسؤلو ندوة العلماء للحصول على هذا الغرض منهجاً تعليمياً جامعاً لا تزداد به المواهب الأدبية فقط بل ينشأ الذوق الأدبي السليم باللغة العربية " [3] .

[1] المسلمون في الهند ، ص : ٤٢ .
[2] ملخصاً من " المسلمون في الهند " الأردية ، ص : ٥٠ .
[3] الثقافة الإسلامية وندوة العلماء ، ص : ٧٠ .

ويكتب الأستاذ منور سلطان الندوي :

" هذه حقيقة ثابتة لا تجحد ولا تنكر ، فإن الفضل كله يرجع إلى ندوة العلماء وأبنائها في ترويج اللغة العربية في شبه القارة الهندية من الهند وباكستان كلغة حية نامية متدفقة بالقوة والحياة " [1] .

ويقول الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي :

" نهضت ندوة العلماء حاملة لواء اللغة العربية وعقدت عزماً راسخاً على بعث هذه اللغة العربية من زاوية الخمول والذبول إلى الرقي والازدهار ، ومن الحصار الضيق السائد في المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية إلى الجو الواسع المتفتح إذ ذاك ، ونفت ظن الناس بأنها لغة دينية أثرية قديمة ، تنحصر بين الكتب الدينية والعلوم الشرعية فحسب ، بل أكدت أن اللغة العربية إنما هي مفتاح المكتبة الإسلامية الزاخرة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية والبلدان الإسلامية ، وهي لغة حية متدفقة بالقوة والحيوية والنشاط ، لغة الشريعة والقانون ، لغة السياسة والاجتماع والصحافة ولغة الثقافة والحضارة ولغة الدين الذي هو آخر الأديان السماوية الذي يخلد مع الزمان ويساير الحياة ، ولغة خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالشريعة الخالدة ونزل فيها الكتاب في أفصح اللغات وأقوى اللغات العالمية وقد أقر الناس بفضل ندوة العلماء في هذه الناجعة العلمية النادرة ، ونبغ فيها كتاب وأدباء ومؤلفون اعترف لهم علماء العرب بالفضل والإجادة والاقتدار على اللغة العربية " [2] .

**خلاصة القول :**

إذا تصفحنا التاريخ الإسلامي والثقافي والحضاري في الهند ، وجدنا أن علماء ندوة العلماء لم يتركوا مجالاً من مجالات الحياة إلا وتناولوه بالبحث والدراسة والتحقيق ، وأظهروا بكتاباتهم الغزيرة أنهم لا يعيشون في عزلة عن العالم ، أو في جزيرة منقطعة في بحر الحياة ، بل إن لهم أعمالاً جليلة وإسهامات هائلة في مختلف فروع العلم ولاسيما في العلوم الدينية والأدبية والثقافة الإسلامية .

ومن الدلائل المعاصرة أنه عندما أصدر جرجي زيدان كتابه

[1] المزاج الفقهي لندوة العلماء وخدمات أبناء الندوة الفقهية ، ص : ٩٨ .
[2] كشاف مجلة البعث الإسلامي ، ص : ١٢ – ١٤ .

المشهور " تاريخ التمدن الإسلامي " من مصر في أوائل القرن العشرين ، كان له دوي في الأوساط العلمية والثقافية ، وكان في الكتاب جناية على الخلفاء الأمويين والعباسيين ، وتحريف لبعض الحقائق التاريخية وإعادة لأسطورة إحراق مكتبة الإسكندرية الخرافية ثارت في العلامة شبلي النعماني حمية دينية ، وتصدى لهذه الحملة الخبيثة بعيدة الأثر ، وألف كتابه الشهير " الانتقاد على التمدن الإسلامي " نقد فيه كتاب جرجي زيدان وكشف عن دسائسه .

ولما نشر انتقاده في مجلة " المنار " المصرية في حلقات عديدة من عام ١٩١٢م ، علق عليه الشيخ رشيد رضا بقوله : إن المسيحي جرجي زيدان زيف الوقائع والمراجع وذم العرب وروى الإسرائيليات والروايات غير الصحيحة ، فلم يرد عليه أحد من العرب ، وإنما قام مجاهد هندي وأدى فريضة الكفاية عن الأمة الإسلامية ، فدافع عن الإسلام والمسلمين ، ألا وهو المصلح التربوي الكبير شبلي النعماني ، وهو أحد المسؤلين عن شئون ندوة العلماء البارزين [1] .

وهكذا قام سماحة العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي ( م ١٩٩٩م ) بدور هام في مجال الدعوة الإسلامية ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في العالم كله شرقاً وغرباً ، وخير شاهد على هذا القول كتابه القيم " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " الذي أحدث ضجة كبيرة في العالم العربي والإسلامي في الثلاثينيات للقرن المنصرم ، يدل هذا الكتاب دلالة واضحة على سعة معرفة المؤلف بالثقافة الإسلامية والتاريخ حتى اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠م لهذا الكتاب القيم النافع [2] .

أما امتلاكه بناصية اللغة العربية وتضلعه من علومها وآدابها .

فالبيت يعرفه والحل والحرم

فكان فارس العربية الوحيد في شبه القارة الهندية وأميراً من أمراء البيان العربي فاق كثيراً على كبار علماء العربية وأبنائها ، وقد سماه كثير من الأدباء العرب:

" عجمى أعرب من كثير من العرب " [3]

---

[1] اللغة العربية في الهند عبر العصور ، ص : ٢٠ .

[2] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ٣١٤ .

[3] محمد نعمان الدين الندوي في مجلة " الصحوة الإسلامية " ، ص : ٢٧ .

# محمد المأمون الأرزنجاني الدمشقي

## مؤلفاته وشعره العربي

الدكتور أبو ذر متين*

**ولادته ونشأته :**

كان الأستاذ محمد المأمون بن عبد الوهاب الأرزنجاني الدمشقي عالماً دينياً متصوفا وشاعراً وكاتباً وفيلسوفاً ، وكان من كبار العلماء والمتصوفين في مجال العلم والإرشاد في عصره ، وكان يعبر عما في ضميره بكلمات رائعة وتعبيرات رائقة نثراً ونظماً ، إنه ولد في مدينة أرزنجان عام ١٣٠٨ من الهجرة الموافق ١٨٩٠ من الميلاد [١] وتوفي قبل عام ١٩٦٨م [٢] ، وكان أبوه عبد الوهاب الأرزنجاني نزيل " صالحية " بدمشق ، من أصل بلدة الأرزنجان التي وقعت بالقرب من مدينة " أرضروم " بشرق تركيا ، وكان عالماً دينياً متصوفاً وبارعاً في اللغة العربية والعلوم المختلفة مثل علم الفلسفة وعلم الهيئة ، كما أنه كان معروفاً بين الناس في الزهد والورع والعلم والفضل ، إنه قد هاجر من بلدة الأرزنجان مع ولده مأمون الأرزنجاني إلى المدينة المنورة في سنة ١٣١٥ من الهجرة ، فقد نشأ مأمون الأرزنجاني وترعرع فيها تحت ظل أبيه في بيئة علمية ودينية ، وأخذ العلوم الإسلامية والأشغال الروحية من والده الكريم ومن بعض أكابر علماء المدينة المنورة . وبعد إقامته فيها عدة أعوام عاد أبوه مع ولده إلى مدينة دمشق بعد نشوب الحرب العالمية الأولى ، ولكنه سرعان ما توفي والده الكريم بعد وصوله إلى دمشق . وبعد وفاة والده سافر محمد المأمون الأرزنجاني إلى الآستانة بتركيا لتوسيع أفقه العلمي ، فالتحق " بدار

---

* قسم اللغة العربية ، جامعة علي كره الإسلامية .

[١] علم الروحيات الحديث ، الشيخ محمد المأمون الأرزنجاني ، مطبعة ابن زيدون ، بدمشق ، عام ١٣٤٧هـ – ١٩٢٨م ، ص : ٨ .

[٢] كانت وفاته مجهولة وفي السنة ١٩٦٨م طبعت له أشعار عربية في مجلة " دعوة الحق"، بالهند ، للمرحوم الأرزنجاني فيمكن أن تكون وفاته قبل السنة المذكورة .

الفنون العثمانية " ونال حظاً وافراً من علم الهيئة والفلسفة والعلوم العربية وآدابها وأتقن فيها ، وعلاوة على ذلك أنه تعلّم اللغات الأخرى مثل الفرنسية والألمانية والإنكليزية ما عدا التركية والعربية والهندية وهكذا فإنه أصبح خبيراً بست لغات [1] .

**وظائفه :**

أثناء إقامته بتركيا أنه شارك في الجيش الأوربي بصفة ضابط احتياط ، فازداد مهارة تامة في اللغات العربية واحتكاكاً بالأوربيين وبصيرةً في الحضارة الأوربية ، ولما انقضت الحرب أنه اتجه إلى دراسة فن الروحانيات والاختصاص فيها بالمطالعة والعمل والتجربة والرحلة إلى أوربا واللقاء بأعضاء هذا الفن ، فكانت الجدة تتجدد فيه الجدة وتمهد له الطرق الحديثة لإنجاز المقالات والكتب والمحاضرات ، كما سيأتي ذكرها بالإيجاز في السطور التالية .

وفي سنة ١٩٢٣م انعقدت في أوربا عدة مؤتمرات للبحث في العلوم الروحانية ، ومن أهم هذه المؤتمرات مؤتمر جمعية ما وراء الروحيات الذي انعقد في مدينة " فارسوفا " عاصمة " بولونيا " ، فشارك الشيخ محمد المأمون في هذه المؤتمرات ممثلاً لعلماء الشرق الروحيين ونال من علماء أوربا حفاوةً وإجلالاً [2] .

وبعد ذلك ارتحل الشيخ الأرزنجاني في عام ١٩٢٥م أول مرة إلى الهند لدراسة الروحانيات على الطريقة الهندية القديمة ، وكان غرضه الأصلي ومقصده العظيم من هذه الزيارة أن يتخصص في هذا العلم تحت قوانين علمية ثابتة ، والتمييز بين قضاياه الصحيحة وأعماله القبيحة التي تُزعم أنها من الروحانيات ، وليست منها في شيئ .

وفي سنة ١٩٣٠م أصدر مجلة ( المناهج ) الشهرية بدمشق ، ناشرها محمد سعدي العمري الفاروقي الدمشقي ، وقد جاء في تعريفها أنها سلسلة أبحاث ومحاضرات في الثقافة الروحية الحديثة ، والتحليل النفسي ، وتقوية الإرادة والتنويم المغناطيسي وسائر العلوم الغامضة ، لتنمية قوى النفس الإنسانية وترقيتها لامتلاك أسباب السعادة ومعرفة

[1] علم الروحيات الحديث ، ص : ٩ .
[2] المصدر السابق ، ص : ٩ .

أسرار النجاح في الحياة [١] .

**في حيدرآباد وعلي كره :**

وفي سنة ١٩٥٠م أو قبلها عُين أستاذاً في الجامعة العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند ، وكانت هذه الرحلة رحلته الثانية للهند . ثم التحق في عام ١٩٥١م كمحاضر للغة العربية والتركية بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة " عليكره الإسلامية " ، الهند ، وأقام فيها إلى مدة عام ١٩٥٥م [٢] ، وخلال إقامته في علي كره كتب عدة كتب ومقالات في موضوعات مختلفة للعلوم العربية والإسلامية ، كما أنه قام بترجمة كتب عديدة ومقالات مفيدة من اللغة الأردية والهندية إلى العربية وبالعكس ، ومن أهمها " أصول اللغة العربية " و " تعليم اللغة العربية " قد أعدهما لطلاب اللغة العربية والدارسين فيها [٣] ، وترجم " كتاب المبين " للأستاذ محمد سليمان أشرف أيضاً إلى العربية ، كما أشار إليه مقتدى خان الشرواني بالتفصيل في الكتاب الموسوم " بمقالات شرواني " للأستاذ حبيب الرحمن خان الشرواني [٤] ، ولكن الأسف الشديد أني ما وجدت هذين الكتابين للشيخ الأرزنجاني بأي صورة من صور المطبوع وغير المطبوع .

**مقالاته :**

وكذلك أثناء إقامته في عليكره طبعت له مقالتان في صحيفة " دو روزه جمهور " الأردية ، بعنوان " انكشاف وتجلي كي ايك كهري " ( ساعة مع الاكتشاف ) [٥] و " تمباكو نوشي " ( التدخين ) [٦] وقد ترجمت هاتان المقالتان من العربية إلى الأردية .

وفضلاً عن ذلك فإنه كتب عدة مقالات علمية وأدبية حول موضوعات شتى ، وقد طبعت هذه المقالات في المجلات العربية الشهيرة

[١] مجلة المناهج ، دمشق ، المجلد : ٢ ، العدد : ٥ ، شعبان ، ١٣٥٠هـ وكانون ثاني ١٩٣٢م ، ص : ١٠ .
[٢] مسلم يونيورستي كزت ، ٨/ أغسطس ، ١٩٥١م ، ص : ٤ – ٥ .
[٣] المصدر السابق ، ص : ٥ – ٦ .
[٤] مقالات شرواني ، مرتب محمد مقتدى خان شرواني ، شرواني برنتنك بريس ، ١٩٤٦م ، ص : ٢٧١ .
[٥] دو روزه جمهور ، علي كره ، المجلد : ٣ ، العدد : ٨ ، ١٦/ مارس ١٩٥٢م ، ص : ٢ .
[٦] المصدر السابق ، المجلد : ٣ ، العدد : ٤ – ٥ ، ١٦/ فبراير ١٩٥٢م ، ص : ٢ و ١٢ .

للعالم العربي ، ومنها " نخبة من العلماء في الجامعة الإسلامية بالهند " و " ماذا شاهدت في البلاد العربية السعودية " و " مقتطفات من مؤلفات وخطب الزعيم غاندي " ، و " الأحرار المظفرون " وما إلى ذلك .

وبعد عودته من علي كره كتب مقالات قيمةً في اللغة العربية حول موضوعات مختلفة للتاريخ والثقافة الهندية ، ومنها " هبات الإسلام وعطاياه القيمة للشعب الهندي " ، و " المهاتما غاندي يكشف عن سر الإلهام " ، " إجلال الزعيم غاندي وتعظيمه لنبي الإسلام " ويبدو من دراسة كتاباته أن الشيخ الأرزنجاني كان مولعاً بشخصية الزعيم الهندي الكبير وأبي الشعب الهندي المهاتما غاندي .

وأما المقالة الأولى " نخبة من العلماء في الجامعة الإسلامية بالهند " فإنها طبعت في مجلة " التمدن الإسلامي " الغراء بدمشق ، تحدث فيه الشيخ كما يتضح من عنوانه عن جماعة من العلماء والأدباء التي زارت جامعة علي كره الإسلامية بالهند ومنهم محمد حسين هيكل ، فكان أثر هذه الزيارة طيباً في النفوس ، قد رحب الشيخ الأرزنجاني في الجامعة أولاً بمقدمهم ترحيباً حاراً وبعد ذلك أثنى على خطة تبادل الطلاب التي انتهجتها معارف الهند مع بعض الجامعات العربية ، وبعد ذلك أنه التمس من الزائرين أن يقترحوا ذلك لأنه هي وسيلة ناجعة من وسائل التعاون المعرفي والثقافي والاجتماعي ، ثم قال لهم لمناصرة اللغة العربية والثقافة الإسلامية والثناء على جامعة عليكره الإسلامية ثناء جميلاً . وفي هذا الصدد قال لهم : " إن هذه الجامعة الإسلامية هي المركز الوحيد للمسلمين في الهند فلذلك شرعت تعني بالثقافة الإسلامية ولسانها العربي المبين ، ومما لا شك فيه أن الأمة العربية إذا مدت إلينا يد المساعدة وعاونتنا معاونةً علميةً ثقافيةً فإن نجاحنا في نشر اللغة العربية وعلوم الشريعة يكون مؤكداً . وإني على يقين بأن عميد جامعتنا الإسلامية المربي الكبير الأستاذ ذاكر حسين والأستاذ عبد العليم رئيس القسم العربي وسائر رجالها العاملين لا يألون جهداً في خدمة اللغة العربية الكريمة والثقافة الإسلامية و يستمرون على العمل حتى يكلل أعمالهم الفوز والنجاح [1] .

[1] مجلة التمدن الإسلامي ، بدمشق ، ذي القعدة وذي الحجة ، ١٣٧٢هـ تموز وآب ١٩٥٣م ، المجلد : ١٩ ، العدد : ٢٧ – ٣٠ ، ص : ٦٧٧ .

وبعده أعرب عن رأيه في الجامعة الإسلامية بعليكره وأهميتها وخدماتها الجليلة : " إن الجامعة الإسلامية الكبرى بعليكره خدمت الهند خدمات جليلةً برفع مستوى التربية والتعليم ، وصقل عقول شبابنا وتنوير أذهانهم بالمعارف الحديثة ، فهي مدينة العلم والحكمة والعرفان والعلوم الكونية الجديدة ومركز الفكر الراقي والثقافة الإنسانية العالية لا في الهند فحسب بل في الأقطار الشرقية عموماً "[1] .

والمقالة الثانية التي ألقاها الأستاذ الأرزنجاني من إذاعة دهلي بعد عودته من البلاد العربية السعودية . عنوانها " ماذا شاهدت في البلاد العربية السعودية " ذكر فيها أولاً عن زيارته الأولى التي وقعت قبل ربع قرن ، ثم قال فيها عن زيارته الثانية والفرق بينهما بانطباعاته ومشاهداته السياحية عن البلاد العربية السعودية ومن آثار الرقي والتقدم والعمران والتخلف ، وعلاوة على ذلك فإنه وصف فيها آثار الحياة العلمية والأدبية والاقتصادية والتاريخية وغيرها كما هو يقول : " ولقد رأيت تجدداً عظيماً في كثير من مرافق المعيشة ووسائل الحياة في " مكة " و " جدة " و " المدينة " ، فالأنوار الكهربائية كانت تضيئ الحرم الشريف بألوان زاهية ، ونظام رجال الأمن والشرطة كان على أحسن ما يرام ، والأسواق مملوءة بكل أنواع الأغذية والمشروبات المرطبة ، وكانت الشوارع معبدة ومضاءة بالكهرباء ، ولم تقتصر آثار الرقي والتقدم على هذه المظاهر الخارجية فحسب ، بل بدأت تظهر في نواحي الحياة العلمية والأدبية والاقتصادية وغيرها . وإذا استمرت هذه الحالة فإن البلاد العربية السعودية ستبلغ أقصى درجات الرقي والازدهار في زمن يسير "[2] .

والمقالة الثالثة التي طُبعت بعنوان " مقتطفات من مؤلفات وخطب الزعيم غاندي " قد ناقش فيها الأستاذ الأرزنجاني فلسفة مهاتما غاندي وآراءه الرائعة التي تتعلق بالحياة الإنسانية والتربية والتعليم والعناية بسمو الأخلاق وسر النجاح في الحياة والمذهب المادي وحضارة الغرب الخلابة بالتعريب نموذجاً[3] .

---

[1] المصدر السابق ، ص : ٦٧٨ .
[2] المصدر السابق ، المجلد : ٢٢ ، العدد : ٣٧ – ٣٨ ، ١٩٥٥م ، ص : ٨٦٤ .
[3] المصدر السابق المجلد : ٢٥ ، العدد : ٢٩ – ٣٢ ، آزار ١٩٥٩م ، ص : ٦٥٠ – ٦٥٢ .

وهكذا في مقالة أخرى له بعنوان " هبات الإسلام وعطاياه القيمة للشعب الهندي " عرض فيها الأستاذ خصائص الإسلام وأحكامه وأصوله ونظامه وخيره وسلوكه بلسان الزعيم غاندي . فيقول : " إن الإسلام دين كسائر الأديان العظمى يدعو إلى الأمنِ والسلامِ في العالم . ورغماً من أنِ قادة الأديان اختلفوا في وسائل تحقيق السعي النبيل . إلا أنهم جميعاً متفقون حولِ هذا الهدف السامي . وبما أن الإسلام نشأ في بيئة اضطر معها أحياناً إلى استعمال السيف والقوة في الغزوات الإسلامية حسب تعاليم القرآن " [1] .

وكذلك كتب الأرزنجاني في مقالة عنوانها " المهاتما غاندي يكشف عن سر الإلهام " تحدث فيها عن آراء المهاتما غاندي النادرة القيمة التي تتضمن على أسرار الطريقة الروحية ، كان يتبعها الزعيم الروحي الخالد لحل مشكلات الحياة " [2] .

وأما مقالته " الأحرار المظفرون " فقد كان بين فيها السبيل للوصول إلى السعادة الحقيقية والفلاح الأبدي في الدارين بحب الله وطاعته بذكر الآيات القرآنية والأشعار العربية بالدلائل [3] .

وكذلك طبعت له مقالة عربية عنوانها " نشر اللغة العربية في الهند وإصلاح مناهج تعليمها " هذه المقالة القيمة في الحقيقة محاضرة ألقاها الأستاذ محمد المأمون الأرزنجاني في الجامعة العثمانية بمناسبة حفلة " دائرة المعارف " في سنة ١٣٥٧هـ بحيدرآباد ، الدكن ، الهند ، وبعد سنة ١٣٥٨ من الهجرة طُبعت هذه المقالة في مجموعة مقالات تسمى " المباحث العلمية من المقالات السنية " تحت إدارة " جمعية دائرة المعارف العثمانية " حيدرآباد الدكن ، تحدث فيه الأستاذ أولاً عن أهمية اللغة العربية من الوجهة الدينية ثم ألقى الضوء على سهولة تعليم اللغة العربية ومميزاتها وخصائصها وقواعد للمران على العربية ومناهج جامعة الأزهر الجديدة ،

---

[1] المصدر السابق المجلد : ٢٥ ، العدد: ٣٣ – ٣٦ ، نيسان ١٩٥٩م ، ص : ٧٢٧ .

[2] مجلة " صوت الشرق " ، القاهرة ، المجلد : ٩ ، ا لعدد : ٩٧ ، أكتوبر ١٩٦٠م ، ص : ٨ – ٩ .

[3] التمدن الإسلامي ، المجلد : ٢٠ ، العدد : ١١ – ١٢ ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٣م ، ص : ٣٣٦ – ٣٣٧ .

فهذه المقالة القيمة خير نموذج لإصلاح المدارس الدينية واقتراحات في تسهيل تعليم اللغة العربية وتبديل منهج الأدب العربي ووضع منهج جديد [1] .

**آثاره :**

وعلاوةً على ذلك قد ترك خمسة كتب في اللغة العربية تدل على براعته وخبرته التامة في العلوم العربية والإسلامية أو في مختلف المجالات العلمية والأدبية ، ومن تراثه في اللغة العربية المطبوعة منها :

١. " علم الروحيات الحديث " المطبوع من مطبعة ابن زيدون بدمشق عام ١٣٤٧ الهجري الموافق ١٩٢٨ من الميلاد ، وفي الأصل هذه محاضرة ألقاها الأرزنجاني في " المجمع العلمي العربي " بدمشق في ٢٢ ذي القعدة عام ١٣٤٦ الهجري ، وبعدئذ نشرها السيد محمد سعدي العمري الفاروقي الدمشقي .
٢. " المقامات الدكنية " المطبوعة من " دائرة المعارف " حيدرآباد ، الدكن ، بدون تاريخ ، هذه المقامة تحتوي على المقامة المدنية والمقامة المكية والمقامة الحيدرآبادية والمقامة الماوراء الروحية والمقامة الإشعاعية .
٣. رسول الثقلين : يشتمل هذا الكتاب على شذرات من سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين مع بيان النواحي الممتازة من حياته المقدسة صلى الله عليه وسلم .
٤. طيوف الأحياء أو تمثل أرواح الأحياء وظهورها في اليقظة . مطبعة التوفيق بدمشق ١٩٢٣م ، في ٢٥ صفحة .
٥. معهد ينابيع الحكمة لدراسة العلوم الروحانية بطريق المراسلات .
٦. إثبات خلود النفس بالبراهين الطبيعية ، طبع " دارمكتبة الملك الظاهر " بدمشق ١٩٢٩م ، في ٣٢ صفحة .

وأما ما لم تطبع إلى الآن فمنها :

(١) خطب القرآن الكريم (٢) أساس اللغة العربية (٣) اللسان المبين (٤) ترجمة رسول الثقلين (٥) تفسير الفاتحه (٦) التداوي بالروحانية المغناطيسية (٧) دروس علمية وعملية في التنويم المغناطيسي والسرمنة

[1] المباحث العلمية من المقالات السنية ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م ، ص : ٢٦٦ .

(٨) شفاء العنة بطريقة الاستهواء وإزالتها بدون دواء (٩) التأثير عن بعد بالقوة الفكرية والموجات الروحانية الخفية لبلوغ المقاصد والآمال (١٠) أصول علم الفلك والنجوم الحديث .

**إسهاماته في الشعر العربي :**

قد كان محمد المأمون الأرزنجاني الدمشقي شاعراً عربياً قديراً ، وكان شعره ممتازاً بالأساليب البسيطة والمعاني القيمة القويمة والقوافي اللينة اللذيذة وكان ظافراً بالترنيم والترتيل في الحلاوة الموسيقية بالأبيات والألحان ، تسيطر فيه العاطفة والمحبة وكانت أشعاره مرتجلة في مناسبات مختلفة على موضوعات متنوعة . ومن عناوينها " نشيد الإسلام " ، " معاهد العلوم ورياضها " ، " إلى الشباب المسلم " ، " التوحيد البحث " ، " بشراك أيتها الجامعة الإسلامية " ، " بهجة العيد " ، " تهنئة العيد " ، " إلى المعالي " ، " قوة الإيمان " ، " دين محمد " . وقد قرض هذه المنظومات كلها خلال إقامته بعلي كره .

فهي مشتملة على الترحيب والتهاني والأنشودة ومديح الصالحين والتوحيد الخالص وتعاليم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومظاهره . وبالإضافة إلى ذلك أنه نظم قصيدتين بالعربية عنوانها " بفضلك تنطق الأفلاك " ، و " صفات المؤمن الكامل " .

هذه القصائد المذكورة كلها طُبعت في المجلات العربية للهند والعالم العربي في أوقات مختلفة ، وفيما يلي نقدم إليكم القصائد كاملة لكي نقدر مكانته وبراعته في مجال الشعر العربي أيضاً ، فيقول في قصيدة " نشيد الإسلام " :

موئل العز في الحياة رباكا ... موطن الأمن والسلام حماكا
أنت نور بك البرايا تجلّت ... في جمال وبهجة من سناكا
أنت روح بك العوالم تحيا ... أنت شمس تنوّر الأفلاكا
بك نحيا بعزة وإرشاد ... ونلبي من الفواد نداكا
نهب النفس حيثما شئت طوعا ... إنما النفس والنفيس فداكا
عشت فينا معززاً وكريماً ... فمُنانا مستورة في علاكا
فأمنح القلب يا إلهي سروراً ... وبهاء ونفحة وهداكا

وأغـــثـنـــا إذا الحياة تـردت وأجـرنا فـلا مـجـيـر سواكا [1]

معاهد العلوم ورياضها :

من روضة العلم نجني الفضل والأدبا وتقتني من جناها المجد والحسبا
فالـمـرء لا يـرتقي مهما علا شرفاً إلا إذا طـالـع الأسفار واكتسبا
ومـارس الـعـلـم في جد وفي شغف وكـرّس الـعمر حتى يبلغ الاربا
إن الـعـلـوم لـقـد لاحـت بـمعهدنا فـنـورت من سناها الدهر والحقبا
فـأظـهـرت حـكـما كانت مخبأة فـأورثـتـنـا مـن الآباء ما نـهبا
وعـبّـد الـنـهـج للألاد مبـتغيا كشف الستار وأحيا العلم والأدبا
كـاد الـزمـان يـمـحوها برِمَّتها لولا عـنـايـتـه مـا عاد ما سلبا
دامـت مـآثـره في الـدهر باقية حتى نـعـيـد بـحسن الحظّ ما ذهبا
حـسن الـبـهاء ونور العلم يسعدكم فـيـغـدق الخير والإقبال والـذهـبا
مـهـمـا دعا لـكـم المامون مبتهلاً فلن يؤدّى لكم بـعض الذي وجـبا [2]

إلى الشباب المسلم :

يا عزيز الحمى وفخر الشباب وعـظـيـم الـمـنى وتـبـر التراب
أنت شبل الإسلام فـارع حماه واهد من ضلّ عن سبيل الصواب
وأنـشد الـخـيـر للنفوس ووثّق في عـراهـا ونـجّـها من عذاب
وغـذ الـقـلوب بحسن الوفاق وأحـيـى الـوفـاق بـتـرك العتاب
وأرو الـعقـول بـفـيض المعالي وأجـزل عـطـاك لـحسن المآب
حـبـاك الإله عـظـيم العطايا وأسـدى إلـيـك جـزيـل الثواب [3]

الهدي المحمدي صلى الله عليه وسلم :

ألا إن خير الهدي هدي محمد تمسّك به تسلم من الضر والعيب
ودع كلّ نور غير نـور سمائه فـفـيـه جلاء للقلوب من الريب
فـمـطـلعه سعد ومنزله هدى ومظهره حق تـجـلـى مـن الـغيب [4]

[1] المجلة الإسلامية العربية الشهرية " الصديق " ، الصادرة من ملتان ، باكستان ، العدد : ٤ ، ربيع الثاني ١٣٧٢هـ الموافق يناير ١٩٥٣م ، ص : ١٢ .
[2] المصدر السابق ، العدد : ٥ ، جمادى الأولى ١٣٧٢هـ الموافق فبراير ١٩٥٣م ، ص : ١٤ – ١٥ .
[3] المصدر السابق ، العدد : ٦ – ٧ ، جمادى الثانية ورجب ١٣٧٢هـ الموافق مارس وأبريل ١٩٥٣م ، ص : ٢٨ .
[4] المصدر السابق ، ص : ٢٨ .

لا أبالي بالضيم :

إذا نالني ضيم من الدهر لم أكن    أبالي إذا كنتم بفضلكم تجزوا
صـفا ودّكـم في مهجتي فتنورت    لأنـكـم أنـتم لي القصد والعزّ
فجودوا بعفو إن غدوت مـقـصـراً    وكـونـوا لـنـا عونـا نفوز ونعتز [١]

التوحيد البحث :

أسفي على بعض البلاد وأهلها    إذ يقصدون من الحياة خبالا
تـركـوا الإلـه جـهالة وتشبثوا    بـذيـول أصـنـام تموج وبالا
مـا عـابد يـرضي الإله بفعله    إن أكـثـرَ الأوراد والأعمالا
إلا إذا تـرك الـشـريك موجهاً    افكاره نـحـو الكـريم وقالا
يا ربـنـا إنـا نـخصك [٢] دائماً    بـعـبـادة في خشية إجلالا
عـبّـدْ لنا نهج الهداية وأعطنا    نـوراً نـرى فيه الحياة كمالا [٣]

بشراك أيتها الجامعة الإسلامية :

أنشد هـذه القـصيدة في جلسة بمناسبة قدوم جلالة الملك سعود المعظم للجامعة الإسلامية بعلي كره حينما منح مليون روبية لبناء كلية الطب قريباً .

لـقـد فـزت بالآلاء والعز والـمجد    فسيري إلى العلياء سامية القصد
حباك مليك العرب فضـلا ونعمة    وأولاك إحـسـانا يـدل على الودّ
نـوثـق هـذا الـودّ إذ كـان مبدأ    لـخـيـر عـميم للأنام بلا حدّ
عـسى ربنا يولي كـريم عطائه    بـتـشـيـيد دار للطبابة في الهند
جــزاه إلـه الـخـلـق خيراً ورفعة    وبـلـغـه المأمول في ساحة المجد
فـشكر الإله من عاهل ذاع صيته    وأضحى حبيباً للـقلوب مع العبد [٤]

بهجة العيد :

بهجة العيد ذات شأن عجيب    وبـهــاء الـحياة في الأعيـاد

---

[١] المصدر السابق ، ص : ٢٨ .

[٢] هـذه الأبيات طبعت أيضاً في مجلة " دعوة الحق " بعد وفاة الأرزنجاني ولكن فيها نضحك مكان نخصك ، راجع : مجلة " دعوة الحق " الصادرة من دارالعلوم بديوبند ، الهند ، المجلد : ٤ ، العدد : ١ ، ذو القعدة ١٣٨٧هـ – فبراير ١٩٦٨م ، ص : ٥٧ – ٥٨ .

[٣] مجلة " الصديق " ، العدد : ٩ – ١٠ ، والعاشر ، رمضان وشوال ١٣٧٢هـ الموافق يونيو ويوليو ١٩٥٣م ، ص : ٢٤ .

[٤] مجلة " التمدن الإسلامي " ، المجلد : ٢٣ ، العدد : ٣٥ – ٣٦ ، ١٣٧٥هـ ، ص : ٨١٣.

تـتـصافـى قـلوبنا من جديد تـتـلاقى الأرواح بالأجسـاد
فـتعـالـوا نـمـثّـل كل يوم من بهاء الأعياد حسن الوداد

تهنئة العيد :

عـيـد يعيد على الأيام نضرتها وينفح القلب بـشـرا بالهنا شفعا
زالت هـمـومك يا خلى بعودته وأيـدتـك الـمعالي والعنا رفعا
فـوز الـحـيـاة مسرات متابعة تحظى بها وتكون الدهر متبعا
فأقبل سلام محبّ لا يزال بكم يسمو إلى العز والإقبـال مرتفعاً
فالـعـيـد أنتم إذ ما كنتم أبدأ تاجا له يجمع الأبداع لا الـبدعا

إلى المعالي :

لـمـاذا لا تـتوق إلى المعالي وأنت الروح في أفق العوالي
وأنـت السـر تـكمن البرايا وأنت الـبـحر تزخر باللآلي
وهذا الخلق رمز وأنت معنى لذاك الرمـز تظهر بالجلال
ولـم تـخـلـق للـذّات ولهو ولكن للتـحـلـي بالكمال [1]

قوة الإيمان :

قـوة لـم تـتـح لـقلب جبان تلك في المرء قوة الإيمان
تتجلى على جميع قوى الكون تجلي الأرواح في الأبدان

دين محمد صلى الله عليه وسلم :

الله أكـبر إن ديـن مـحمد دين امتداد الظل لا تحديده
دين يجلي الخافيات جميعها للـمـؤمنين بوعده ووعيده
دين دعاني فاستجبت مرحبا بالموت بين حدوده وحديده [2]

صفات المؤمن الكامل :

شـهـم إذا عـز الـدواء رأيـته يأسو كلوم الخلق من أدوائه
بـطل يقول بخدمة الشهم الذي أثـنـى عـليـه الله في أنبيائه
يـغـنـي الفقير بماله و بعطفه ويـردّ كيد الدهر عن أبنائه
يسـعى لـتـنوير العقول بمركز سام ، فيسموالعقل من أريائه

[1] مجلة " دعوة الحق " ، المجلد : ٤ ، العدد : ١ ، ذو القعدة ١٣٨٧هـ – فبراير ١٩٦٨م، ص : ٥٧ .

[2] المصدر السابق ، المجلد : ٤ ، العدد : ٣ ، سنة ١٣٨٨هـ الموافق أغسطس سنة ١٩٦٨م ، ص : ٥٨ .

يذكي النفوس بحكمة عملية　　فتذوق طعم العلم في عليائه
قلبي يسر بحبه لما أرى　　أعمالة تزهو بحسن ولائه
يا خادم الإسلام في أوطانه　　جوزيت خيراً من بهاء سنائه
صان الإله حياتكم ومقامكم　　وحباكمو نيل المنى بعطائه [1]

ومن الجدير بالذكر أن له قصيدة أخرى عنوانها " بفضلك تنطق الأفلاك " كانت مشتملةً على عشرة أبيات ولكن الأسف الشديد أن القصيدة المذكورة من بيتها الثاني إلى بيتها السادس مقطوعة الحروف في الطباعة لا يمكن قراءتها [2] .

ويبدو من دراسة الأشعار العربية أعلاه أن محمد المأمون عبد الوهاب الأرزنجاني قد قرض الأشعار العربية في أغراض مختلفة ، كلها تتسم بندرة الخيال وروعة التعبير وصدق العاطفة ، كانت تقوم على أساس التوحيد الخالص وتعاليم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والدعوة الإسلامية والروحيات النفسية ، وكل من يدرس هذه القصائد والأبيات يعترف بهذه الميزات والخصائص .

وصفوة الكلام أن محمد المأمون عبد الوهاب الأرزنجاني كان عالماً دينياً وكاتباً إسلامياً ، له مساهمات قيمة في الشعر والنثر وكان عضواً نشيطاً في مؤتمرات الأبحاث النفسية والروحية في " باريس " و " فيينا " و " فارسوفي " و " الهند " ، وبما أن شخصيته كانت مجهولةً في الأوساط العلمية والأدبية والثقافية ، بين القديم والجديد في العالم العربي والإسلامي ، فلم توجد عنه معلومات كافية في المجلات والجرائد العربية وكذلك كتب التراجم العربية المشهورة أيضاً خالية بوجه عام من ذكره ، وهذا القدر من القليل لا يبرد غليل الباحث العلمي ولا ينتفع بأعماله وأفكاره ومجهوداته أمام القراء والباحثين . فوددت أن ألقي بعض الأضواء على جوانب شخصيته العلمية والأدبية .

( والله ولي التوفيق والسداد ) .

---

[1] المصدر السابق ، المجلد : ٥ ، العدد : ٢ ، ربيع الأول ١٣٨٩ الهجري الموافق مايو ١٩٦٩م ، ص : ٥٨ .
[2] المصدر السابق ، ص : ٥٨ .

# مجلس إحياء المعارف النعمانية
## مركز عظيم للبحث والتحقيق

د . سعيد بن مخاشن *

إن " مجلس إحياء المعارف النعمانية " من أبرز مآثر الإمام الرباني الشيخ أبي الوفاء الأفغاني رحمه الله الذي أسّسه في جمادى الأولى عام ١٣٤٧هـ المصادف ٤ سبتمبر ١٩٢٩م ، وهو خير شاهد على تضلع الإمام أبي الوفاء الأفغاني من العلوم العقلية والنقلية بوصف عام ، وعلى تبحره وتمهره في الفقه الحنفي بوصف خاص . وهي اللجنة التي قام الإمام الرباني بإرساء قواعدها لينشر تحت إشرافها مؤلفات الإمام أبي حنيفة ، وصاحبيه الإمام أبي يوسف ، والإمام محمد بن حسن الشيباني رحمهم الله مزودة بالشرح والتحقيق والتعليق ، بالإضافة إلى آثار الأسلاف المتقدمين من الفقهاء والمحدثين من السادة الحنفية في الطبقة الأولى والثانية ، كما تحدث في مقدمة " النكت " عن دافعة تأسيس " مجلس إحياء المعارف النعمانية " يقول : " ولما أسّسنا لجنة إحياء المعارف النعمانية لإشاعة كتب أصحابنا المتقدمين كالإمام أبي يوسف والإمام محمد رضي الله عنهما فتشنا خزانات العالم لنظفر بكتبهم ، وراسلنا علماء بلاد شتى ليفيدونا بما لهم من علم بتلك الكتب القيمة والجواهر الثمينة . . . " [١] ، وقال في مقدمة " كتاب الآثار لأبي يوسف " : " أما بعد ! فإن لجنتنا " إحياء المعارف النعمانية " التي غرضها إشاعة كتب المتقدمين من أئمتنا ، أرادت أن تنشر " مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ابن ثابت الكوفي رضي الله عنه " ، تصنيف تلميذه القاضي الإمام أبي يوسف

---

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية ، البريد الإلكتروني : sayeed_makhashin@yahoo.com

[١] شمس الأئمة السرخسي : النكت ، تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني ، حيدرآباد – الهند، مطبعة لجنة نشر العلوم الإسلامية ، ١٣٧٨هـ ، ص : ١ .

يعقوب بن إبراهيم الأنصاري رضي الله عنه " [1] .

فأسّس الإمام الأفغاني رحمه الله مجلس إحياء المعارف النعمانية بمساعدة من زملائه ، فقام المجلس بطبع كثير من الكتب النفيسة ، من فرائد مؤلفات أئمة القرن الثاني والثالث وما بعدهما ، وكان هو رئيس المجلس بل كان هو المجلس والقائم بأعماله وإنجازاته خير قيام ، يبذل له من وقته وماله وعلمه ما استطاع ، متطوعاً ومحتسباً لوجه الله تعالى .

**الإمام أبوحنيفة والإمام الأفغاني :**

إن من أهم المزايا التى تميزت بها شخصية الإمام الأفغاني عن بقية العلماء والصلحاء هو علاقته ومحبته للإمام أبي حنيفة رحمه الله ، لأنه كان يرى اجتهاد الإمام أبي حنيفة رحمه الله ينبع من منابع القرآن والسنة فجاش قلبه محبة له وعظمة له . وكان يختلج في قلبه دائماً أن يؤسس مؤسسةً علميةً يحقق فيها المؤلفات والمخطوطات التي تستبطن شخصيات الإمام أبي حنيفة وصاحبيه الإمام أبي يوسف والإمام محمد بن الحسن الشيباني وما قدموه من الاجتهاد والاستنباط . وإنه لما أراد إرساء قواعد المؤسسة للبحث والتحقيق سماها تيمناً على اسم أبي حنيفة نعمان بن ثابت " مجلس إحياء المعارف النعمانية " .

وكذلك لما أراد الشيخ محمد ولي الله شيخ المعقولات بالجامعة النظامية تأسيس المدرسة لحفظ كلام الله عزوجل في ركاب غنج بحيدرآباد عام ١٩٦١م حضر في مجلس الشيخ الأفغاني واسترشده في هذا الأمر ، فأمره الشيخ أن يسمي تلك المدرسة على اسم الإمام الأعظم أبي حنيفه رحمه الله " دار العلوم النعمانية " ، فسمّاها الشيخ ولي الله حيث ما أشار إليه الإمام الأفغاني ، فصارت تلك المدرسة مركزاً عظيماً لحفظ كلام الله عز وجل ، وفاقت ببركة اسمه على كثير من المراكز العلمية في مدينة حيدرآباد .

قال الإمام الأفغاني في مقدمة " كتاب الأصل " عن الإمام أبي حنيفة ومنزلته المرموقة : " وأول من دون علم الفقه ونسخه في الأسفار

[1] أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري : كتاب الآثار ، تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ص : أ .

وأملاه على أصحابه إمامنا الأعظم أبوحنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه " ، وتابع قائلاً : " ولا يخفى أن إمامنا الأعظم أبا حنيفة أول من دون علم الفقه ، فألف فيه كتباً ، فأول ما ألف كتاب الصلاة وسماه " كتاب العروس " ثم ألف كتاباً كتاباً ، فنسخ منها أصحابه فزادوا فيها ونقصوا منها ، ورتبوها وهذبوها فصارت لهذا تآليفهم " [1] .

**منزلة أئمة الأحناف والسادة الفقهاء عند الإمام الأفغاني :**

كان الشيخ الأفغاني رحمه الله نراه يذكر أئمة الأحناف والسادة الفقهاء ويبجلهم في مقدمة المؤلفات والتحقيقات ، كما قال في مقدمة " كتاب الأصل " : " الحمد لله الذي خلق الإنسان ، علمه البيان ، ومصلاته وسلامه على عبده ورسوله سيد الأنبياء والمرسلين ، والفقهاء من الإنس والجان ، وعلى آله سادات ذرية عدنان ، وعلى صحبه الذين حققوا الحق بالبينات والبرهان " [2] . وقال مقدمة " النكت " : " الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمي الكريم المبشر فقهاء أمته بقوله " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " ، وعلى آله وأصحابه هداة الناس إلى الدين المتين ، وفقهاء أمة سيد الأولين والآخرين " [3] . وقال في مقدمة " كتاب النفقات " : " الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، هداة الدين وسرج طرق الحق واليقين ، وأصحابه نجوم سماء الهداية ، ومحاة آثار الغواية ، وقامعي أساس البدعة والضلالة ، أئمة الأمة ، وفقهاء الملة " [4] .

ويتابع الشيخ الأفغاني في إظهار منزلة أئمة الأحناف وجهوده المضنية في إنضاج الوعي وإنهاض الهمم في صيانة الفقه الإسلامي ونشره

[1] أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني : كتاب الأصل ، تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني، طبعة أولى ، حيدرآباد – الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٦م ، ج : ١، ص : ١ .

[2] أبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني : كتاب الأصل ، طبعة أولى ، حيدرآباد – الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٦م ، ص : ١ .

[3] شمس الأئمة السرخسي : النكت ، تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني ، حيدرآباد – الهند، مطبعة لجنة نشر العلوم الإسلامية ، ١٣٧٨هـ ، ص : ١ .

[4] أبوبكر أحمد بن عمرو الخصاف الشيباني : كتاب النفقات ، تحقيق أبو الوفاء الأفغاني ، طبعة ثانية ، حيدرآباد – الهند ، مجلس إحياء المعارف النعمانية ، ١٩٧٩م، ص : ١ .

في كل أنحاء بقاع العالم وأرجائها ، قائلاً في مقدمة " كتاب الأصل " : " أما بعد ! فإن علم الاستنباط والفقه من خير العلوم وأشرفها ، وحاملوه خيار العلماء وشرفاؤهم ، قال الله تعالى : " وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً " فسّره ابن عباس رضي الله عنهما بالفقه ، وقال عليه الصلاة والسلام : " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " . وقال عليه الصلاة والسلام : " خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " .

وأول من دوّن علم الفقه ونسخه في الأسفار وأملاه على أصحابه إمامنا الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه ، وسلك أصحابه أبو يوسف وزفر والحسن بن زياد ومحمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله على منواله ، وصنفوا كتباً كثيرةً ، وزادوا فيها ونقصوا ، وقدموا وأخروا ، وهذبوا ورتبوها ترتيباً حسناً ، وفرعوا على أصول شيخهم وإمامهم ، فصاروا بذلك قدوةً لخير الأمة ، خصوصاً منهم الإمام محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه فإنه فرع كثيراً ، وألف كتباً كثيرةً حتى قالوا : " إنه ألف في الدين ٩٩٩ كتاباً " . ثم عكف العلماء عليها ، خصوصاً منها : مبسوطه الشهير بكتاب الأصل ، فإنه من أجل الكتب وأكبرها وأبسطها ، بل هو بحر لا ساحل له " [١] .

**الفقه الحنفي :**

كان الإمام الأفغاني رحمه الله يرى أن المذاهب الأخرى قائمة على أساس الفقه الحنفي ، وكتاب الأصل بوجه خاص ، فتحدث عن الفقه الشافعي أنه قام على أساس الفقه الحنفي قائلاً : " وفي بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني ص ٦١ : " فأكبر ما وصل إلينا من كتب محمد هو كتاب الأصل المعروف بالمبسوط ، وهو الذي يقال عنه : " إن الشافعي كان حفظه وألف " الأم " على محاكاة " الأصل " " [٢] .

يقول الإمام الأفغاني عن الفقه المالكي أنه نهل عن الفقه الحنفي

---

[١] أبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني : كتاب الأصل ، طبعة أولى ، حيدرآباد – الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٦م ، ص : ١ – ٢ .

[٢] محمد بن حسن الشيباني : كتاب الأصل ، مقدمة المصحح ، طبعة أولى ، حيدرآباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ص : ٤ .

وأئمته ، وعلَّ وشرب منه حتى الثمالة : " وفي ص ١٤ منه : " كان أسد بن الفرات خرج من القيروان إلى الشرق سنة اثنتين وسبعين ومأة ، فسمع المؤطا على مالك بالمدينة ، وكان أصحاب مالك ابن القاسم وغيره يحملونه على السؤال عن مسائل حيث كان مالك يتلطف معه ويجيبه عن مسائله دونهم لكونه رحل إليه من بلد بعيد ، لكن لما أكثر السؤال أخذ مالك يتضايق من ذلك ، حتى قال يوماً : " سلسلة بنت سلسلة إذا كان كذا كان كذا ، إن أردت هذا فعليك بالعراق " . وفي لفظ : " إنه سأل مالكاً يوماً عن مسألة فأجابه عنها ، فزاد أسد في السؤال فأجابه ، ثم زاده فقال له مالك : " حسبك يا مغربي ! إن أحببت الرأي فعليك بالعراق . فوجد أسد أن الأمر يطول عليه عند مالك ويفوته ما يرغب فيه من لقي الرجال والرواية عنهم ، فرحل إلى العراق . . . ( إلى أن قال ) فسمع أسد ابن الفرات بالعراق من أصحاب أبي حنيفة وتفقه عليهم ، منهم : أبو يوسف القاضي وأسد بن عمرو البجلي ، ومحمد بن الحسن وغيرهم من فقهاء العراق ، وكان أكثر اختلافه إلى محمد بن الحسن ، ولما حضر عنده – أي عند محمد – قال له : " إني غريب قليل النفقة والسماع منك نزر والطلبة عندك كثير فما حيلتي ؟ " ، فقال محمد : " اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك فتبيت عندي وأسمعك " . وقال أسد : " وكنت أبيت عنده ، وينزل إلي ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء ثم يأخذ في القراءة ، فإذا طال الليل ورآني نعست ملأ يده ونضح به على وجهي فأنتبه ، فكان ذلك دأبه ودأبي حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه " أ هـ . وكان محمد بن الحسن يتعهده بالنفقة بعد أن علم أن نفقته نفدت ، وكان في إحدى المرات أعطاه ثمانين ديناراً حينما رآه يشرب من ماء السبيل ، وسعى في نفقته عند ما أراد أسد الانصراف من العراق – في حكاية طريفة يطول ذكرها ، وهي مسرودة في الجزء الثاني من " معالم الإيمان في تاريخ القيروان " أهـ ، ص : ١٥ [١] .

ثم استطرد قائلاً : " ولا يخفى أنه لولا الكتب التي تلقاها أسد من محمد في فقه أبي حنيفة وقدمها لابن القاسم ليجاوبه عن مسائلها على

[١] محمد بن حسن الشيباني : كتاب الأصل ، مقدمة المصحح ، ص : ٥ – ٦ .

مذهب مالك عن ظهر القلب لما تمكن أسد من الإجادة في السؤال ، ولا ابن القاسم من الجواب عن كل مسألة يساله في أبواب الفقه على ترتيب أهل العراق ، فعلى ضوء كتب محمد تم تدوين أسد لتلك المسائل التي هي أصل مدونة سحنون . ولما أراد أسد الانصراف إلى المغرب بتلك المسائل التي دونها في ستين كتابا وسماها " الأسدية " قام عليه أهل مصر فسألوه في كتاب الأسدية أن ينسخوه ، فأبى عليهم ، فقدموه إلى القاضي بمصر ، فقال لهم القاضي : " وأي سبيل لكم عليه ؟ ، رجل سأل رجلاً فأجابه وهو بين أظهركم فاسألوه كما سأله " ، فرغبوا إلى القاضي في سؤاله أن يقضي حاجتهم ، فسأله القاضي فأجابه إلى ذلك ، فنسخوها حتى فرغوا منها ، ونسخت نسخة أخرى منها في نحو ثلاث مأة ورق — وهو المراد بالجلد في لفظ ابن أبي حاتم لتبقى عند ابن القاسم — انتهى ما في بلوغ الأماني ، ص : ١٨ مما انتخبناه منه ، وفيه بقية الكلام ليس هذا مقامه " [١] .

وذكر الإمام الأفغاني عن الإمام أحمد أن إبراهيم الحربي سأله عن فقهه ومسائله حيث قال : " قلت للإمام أحمد من أين لك هذه المسائل الدقيقة ؟ قال : " من كتب محمد بن الحسن " [٢] .

حدثني الخلال نا علي بن عمرو أن علي بن محمد النخعي حدثهم قال نا أبوبكر القراطيسي قال نا إبراهيم قال سألت أحمد بن حنبل قلت : " هذه المسائل الدقائق من أين لك ؟ " قال : " من كتب محمد بن الحسن " [٣] .

**منهاج " مجلس إحياء المعارف النعمانية " :**

اسم المجلس : " مجلس إحياء المعارف النعمانية " .

تاريخ التأسيس : ٣٠ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ يوم الجمعة المصادف ٤ سبتمبر

[١] محمد بن حسن الشيباني : كتاب الأصل ، مقدمة المصحح ، ص : ٨ .

[٢] شمس الأئمة السرخسي : النكت ، تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني ،حيدرآباد — الهند، مطبعة لجنة نشر العلوم الإسلامية ، ١٣٧٨هـ ، ص : ٥ .

[٣] الإمام محمد بن الحسن الشيباني : كتاب الأصل ، تصحيح وتعليق : أبو الوفاء الأفغاني ، طبعة أولى ، حيدرآباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ج : ١ ، ص : ٢٠ .

١٩٢٩م بعد صلاة الجمعة .
مقام التأسيس : الجامعة النظامية .
مقام المجلس : " حيدرآباد الدكن الهند " .

**أهداف المجلس :**

إن لجنة " مجلس إحياء المعارف النعمانية " قد وضعت أمامها أغراضاً نبيلةً في جمع المخطوطات الفقهية والسعي لصيانتها ، على أن تكون المخطوطات من أئمة الفقهاء والمحدثين من السادة الحنفية في الطبقة الأولى والثانية ، كما يتضح ذلك جلياً من اسمه " مجلس إحياء المعارف النعمانية " ، فأهدافها كما يلي بإيجاز :

- طبع المؤلفات الغير المطبوعة للسادة الأحناف من الفقهاء والمحدثين ونشرها .
- طبع المؤلفات التي توجد فيها الأخطاء ونشرها ، وطبع مؤلفات قلت نسخها ونشرها [١] .
- أن تجمع المخطوطات الهامة من مختلف بلاد العالم وتصونها .
- أن تصحح المخطوطات بكل تبصر وإمعان .
- أن تحقق على أصول المخطوطات وتعلق عليها .
- أن تكون المخطوطات لأئمة الأحناف والسادة الفقهاء من الطبقة الأولى أو الثانية .
- أن تنشر الفقه الحنفي وأصوله .
- أن تتيح مكتبة تحوي مختلف العلوم ومتنوع الفنون ، ومؤلفات الفقه للسادة الحنفية بشكل خاص .
- أن تتصل بالهيئات والمؤسسات التي تهتم بمؤلفات الأحناف ومخطوطاتهم .

**أعضاء المجلس :**

تكونت " مجلس إحياء المعارف النعمانية " من أساطين العلم والفن الذين جاهدوا معه في تحقيق البغية ليلاً ونهاراً ، منهم الشيخ المحقق

---

[١] الحاج مولوي مفتي رحيم الدين : دعوة الإخوان لإحياء معارف النعمان ، حيدرآباد الدكن ، اعظم استيم بريس ، ص : ٢١ .

محمد زاهد الكوثري ، والشيخ رضوان محمد رضوان من مصر ووكيل اللجنة في القاهرة ، والشيخ العلامة أنور شاه الكشميري ، والشيخ داعية الإسلام محمد حميدالله ، والشيخ الفقيه سيد محمود ، والشيخ الفقيه مخدوم بيغ ، والشيخ حكيم محمد حسين شيخ الحديث ، والشيخ المقرئ محمد عبدالرحمن بن محفوظ ، والشيخ الفقيه مهدي حسن ، والشيخ الأستاذ محمد عبدالستار خان ، والشيخ الفقيه رحيم الدين ، والشيخ مولانا أكبر علي ، والشيخ عبدالرشيد النعماني ، والشيخ حاجي منير الدين .

إن الشيخ المحقق محمد زاهد الكوثري قد زود " لجنة إحياء المعارف النعمانية " بالمخطوطات النفيسة من مكتبات إستانبول وغيرها ، كما بذل الشيخ رضوان محمد رضوان مجهوداته المكثفة في طبع هذه المخطوطات النفيسة من القاهرة فرأى عديداً من النوادر الغالية النور بتحقيق الشيخ الأفغاني وتعليقه .

**لجنات المجلس :**

إن المجلس يرعى أموره لإدارة برامجه تحت إشراف اللجنتين : (١) اللجنة التنفيذية . (٢) اللجنة العلمية .

**اللجنة التنفيذية :**

إن اللجنة التنفيذية تحتوي على خمسة عشر عضواً من الأعضاء الدائمين من بينهم الأمين العام ومساعداه ، وأمين الصندوق . وينظم اجتماعه كل جمعة ثانية من كل شهر إسلامي .

**اللجنة العلمية :**

اللجنة العلمية تهتم بالأمور العلمية ، ومن واجبات اللجنة العلمية :

- تنقيب المؤلفات النادرة وتتبعها ثم تزويد اللجنة بها .
- اشتراء المخطوطات النفيسة وتصويرها ثم طبعها .
- مدة العضوية ثلاث سنوات .
- يحصل العضوية كل من هو معروف بالعلم والفضل ، وذلك بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس .

**مكتبة اللجنة :**

إن " لجنة إحياء المعارف النعمانية " تحظى مكتبة قيمة توجد فيها

مجموعة الكتب الهامة التي يمكن الرجوع إليها عند البحث والمراجعة . فاشترى لها الإمام الأفغاني مجموعة مختارة من الكتب ، وجمع النوادر من المخطوطات خلال حياته المباركة .

**المؤسسات الناشرة لتحقيقات اللجنة :**

إن المعارف التي حققها الإمام الرباني الشيخ الأفغاني رحمه الله نشرها عديد من المؤسسات العلمية ، من بينها :

- مجلس إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد الدكن .
- لجنة نشر العلوم الإسلامية ( إسلامك ببليكيشنز سوسائتي ) بحيدرآباد الدكن .
- دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن .
- المجلس العلمي دابهيل ، الهند .
- دار المعارف النعمانية ، الجامعة المدنية – كريم بارك – لاهور .
- دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

**كتب نادرة طبعت تحت إشراف هذه اللجنة ، وهي كما تلي :**

١. " العالم والمتعلم " ، مذكرات الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله .
٢. شرح الصدر الشهيد شمس الأئمة حسام الدين أبي محمد عمر بن برهان البخاري على " كتاب النفقات " للإمام أبي بكر أحمد بن عمر الخصاف الشيباني .
٣. " كتاب الآثار " للإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله ( طبع في القاهرة ) .
٤. " كتاب الرد علي سير الأوزاعي " للإمام أبي يوسف ( طبع في القاهرة ) .
٥. " كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى " للإمام أبي يوسف ( طبع في القاهرة ) .
٦. " كتاب الأصل " للإمام محمد بن الحسن الشيباني ، في خمس مجلدات ( طبع في دائرة المعارف العثمانية ) .
٧. " الجامع الكبير " للإمام محمد بن الحسن الشيباني ( طبع في القاهرة ) .
٨. " مختصر الإمام الطحاوي " ( طبع في القاهرة ) .

٩. " مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه : أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني للحافظ شمس الدين الذهبي ( طبع في القاهرة ) .

١٠. " أصول الإمام شمس الأئمة السرخسي " في أصول الفقه في جزءين ( طبع في القاهرة ) .

١١. " النكت " للإمام شمس الأئمة السرخسي ، وهو شرح زيادات الزيادات للإمام الرباني محمد بن الحسن الشيباني .

١٢. " كتاب الحجة علي أهل المدينة " للإمام محمد بن الحسن الشيباني ، في أربعة أجزاء ضخمة .

١٣. " عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان " للإمام شمس الدين محمد بن يوسف الصالحي الشافعي الدمشقي .

١٤. " أخبار أبي حنيفة وأصحابه " للقاضي أبي عبدالله الصيمري .

وببرنامجها تصانيف الإمام أبي جعفر الطحاوي ، والإمام أبي الحسن الكرخي ، وأبي بكر الفقيه الرازي الجصاص ، وأبي بكر الخصاف البغدادي ، والإمام البدر العيني ، وأبي زيد الدبوسي وغيرهم رحمهم الله تعالى .

واتخذ الإمام الأفغاني من نشر هذه النفائس والفرائد سلوة له عن الائتناس بالزوجة والأولاد ، وعاش عزباً فريداً ، متبتلاً متعبداً ، زاهداً ورعاً ، قائم الليل ، محافظاً على السنن النبوية كل الحفاظ ، يكره ترك المستحبات ، ويعمر أوقاته بالمطالعة والإفادة ، والتحقيق والتعليق ، وتلقين العلم لشباب العلماء والمستفيدين ، يقول كلمة الحق ، ولا يخاف في الله لومة لائم .

إن مجلس إحياء المعارف النعمانية كانت تحظى بالإمام الرباني الشيخ أبي الوفاء الأفغاني الدرة الفريدة للبحث والتحقيق بين جنبيها لمدة سنين طوالاً ، وتمتعت أثناء ذلك بمجهوداته الجبارة المتواصلة وخدماته المكثفة المتعاقبة في نقع الغبار وهتك الستار عن أهم نفائس الكتب العلمية حتى انتقل إلى رحمة الله يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رجب المرجب ١٣٩٥هـ .



أحد أدباء المهجر

# لقاء مع الأديب المهجري : نسيب عريضة

إعداد : د . محمد قطب الدين *

**ملخّص :**

سافر عدد كبير من أبناء الشعب السوري واللبناني إلى أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر بحثاً عن فرص العمل ، وهرباً من الظلم والعدوان ، وبحثاً عن الاستقرار النفسي ، وبعد أن استقرت فئة منهم في أمريكا الشماليّة وفئة أخرى في أمريكا الجنوبيّة ، أسسوا الرابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة لإثارة قضاياهم ، ونيل مطالبهم ، وقد أطلق على تلك الرابطتين اسم " مدرسة المهجر " . وسمي هذا الأدب بـ " الأدب المهجري " .

ومن هؤلاء الأدباء والشعراءالمهاجرين إلى العالم الجديد الشاعر والكاتب والصحفي نسيب عريضة ، من مؤسسي الرابطة القلمية في نيويورك والذي هاجر إلى نيو يورك عام ١٩٠٥م . ومنذ البداية ساهم نسيب عريضة بمقالاته القيمة في مختلف الصحف العربية الصادرة آنذاك في العالم المهجري . ولكن كان يحلم بتأسيس مجلة خاصة . فأنشأ مجلة " الفنون " في عام ١٩١٣م . وبعد إغلاقها لأسباب مالية تولى تحرير جريدة " مرآة الغرب " اليومية ثم جريدة " الهدى " . وله أعمال شعرية ونثرية نشرت في مجلة " الفنون " و " السائح " وغيرها من الجرائد . له ديوانه الشعري المعروف باسم " الأرواح الحائرة " . ومن أعماله النثرية القصة المترجمة باسم " أسرار البلاط الروسي " من اللغة الروسية وقصة عربية تاريخية أصلية " ديك الجن الحمصي " ونشرت في مجموعة " الرابطة القلمية " . وله إسهامات بارزة في نشر أفكار جديدة وإدخال موضوعات متنوعة في الأدب العربي عن طريق الأدب المهجري .

فهذه المقالة ستسلط الضوء على بواعث ظهور الأدب المهجري وخصائصها وإنجازاتها الأدبية بالتركيز الخاص على نسيب عريضة شاعراً وكاتباً وصحفياً .

* أستاذ مشارك ، مركزالدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي .

**الأدب المهجري في الأدب العربي :**

في القرن التاسع عشر والقرن العشرين هاجرت فرق عربية من لبنان وسوريا إلى العالم الجديد ومكثوا في مختلف الدول من كندا والبرازيل والارجنتين وهاجر عدد كبير من الأدباء العرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية فراراً من ظلم الدولة العثمانية والاستعمار والتعصب الديني السايد في أنحاء البلاد طلباً للقمة العيش في جو من الأمن والسلام وبحثاً عن حرية النفس والتعبير والمساواة . ويصور الدكتور الطاهر أحمد مكي الأوضاع التي أجبرت هؤلاء العرب على النزوح والمهاجرة إلى البلدان الأجنبية قائلا : " جاء العرب المهاجرون إلى الوطن الجديد وهم يطوون جوانحهم على كل مرارات الوطن الأم ، وترعبهم خيالات الأمس وعذابه من الجوع وخوفه ، والتعصب وحماقته ، والإرهاب وقيوده ، والخوف ورعبه . ويتطلعون إلى مجتمع آمن يوفر لهم لقمة العيش واطمئنان النفس وحرية الحركة والقول " [1] .

فلا يمكن حصر بواعث الهجرة في سبب واحد بل كانت الأسباب متنوعة وهي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والدينية كذلك .

الأدب المهجري هو الأدب نثراً وشعراً الذي أنشأه الأدباء العرب في المهجر الأمريكي الشمالي والجنوبي حيث أصدروا صحفاً وجرائد ومجلات عربية تنشر أفكارهم وتروج إبداعاتهم الأدبية في المجتمع العربي .

إن الأدباء العرب المهاجرين إلى أمريكا الشمالية والجنوبية لم يهاجروا مع الأجسام والأبدان فحسب بل نقلوا معهم لغتهم وأدبهم أيضاً . فأسسوا الجمعيات والنوادي الأدبية لممارسة مواهبهم الأدبية في بلاد الغربة ، فأثروا الأدب العربي بكتاباتهم الإبداعية وأدخلوا فيها موضوعات حديثة لم يعرفها الأدب العربي من قبلُ .

**الرابطة القلمية :**

ففي عام ١٩٢٠م أنشئت الرابطة القلمية على دعوة الأديب المهجري الكبير عبد المسيح حداد في نيويورك وتعيّن جبران أول رئيس وميخائيل نعيمة مستشاراً لها . وبيّن ميخائيل نعيمة دور هذه الرابطة قائلا : " هذه الروح الجديدة التي ترى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور

[1] الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقرائته . الطبعة الثالثة ١٩٨٦م ، دار المعارف

الابتكار في جميل الأساليب والمعاني حرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة ، فهي أمل اليوم وركن الغد "[1] .

كانت الرابطة القلمية ثورة على الأدب القديم وتميل إلى الرومانسية ولكن روح التصوف والفكرة العميقة كانت تغلب على أدبها كما يشير إليها جورج صيدح : " كانت الرابطة القلمية ثورة فكرية وبيانية ، ومذهبها أقرب إلى الرومانسية شكلا ، ولكن التصوف وعمق التجربة وطول التأمل رفع أدبها إلى مستوى عال يطل منه على مستويات العلم والفلسفة العالمية "[2] .

وإن غاية الرابطة القلمية كانت تنشيط الأدب العربي ونفخ روح جديدة في معانيه وهيكله ، كما جاء في دستورها : " إن غاية " الرابطة " هو بثّ روح نشيطة في جسم الأدب العربي ، وانتشاله من وهدة الخمول والتقاليد "[3] .

وكان جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وإيليا أبو ماضي ورشيد أيوب وندرة حداد وعبد المسيح حداد من شعراء الرابطة القلمية الأعلام . وعبد المسيح حداد ووليم كاتسفيلس وجبران ونعيمة من كتّابها .

**العصبة الأندلسية :**

أسس الشاعر المهجري ميشال معلوف في البرازيل ، سان باولو ، المهجر الأمريكي الجنوبي ، العصبة الأندلسية في عام ١٩٣٢م . وهذه العصبة أيضاً كانت خطوة رائدة في مجال الأدب والفن ومنصة رائعة لاجتماع الأدباء والشعراء في المهجر الأمريكي الجنوبي . " لقد كان قيام العصبة الأندلسية في البرازيل فتحاً جديداً أو باعثاً على الإنتاج النثري والإلهام المبدع ، وكان وسيلة لتلاقي الأدباء في ندوات وحفلات ، وفي شتى الاجتماعات والمناسبات ، ونشر آثارهم في مجلة كانت من أرقى المجلات العربية في الوطن والمهجر صورة ومضموناً وشكلاً وموضوعاً "[4] .

ومن شعراء العصبة الأندلسية الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، إلياس فرحات ، شكر الله الجر وآل المعلوف ونعمة قازان وعقل الجر وغيرهم . ومن كتاب العصبة ، نظير زيتون وحبيب مسعود

[1] عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري ، ص : ٨٣ .
[2] جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا ، الطبعة الثالثة ، نقلاً عن قصة الأدب المهجري .
[3] عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري ، ص : ٨٨ .
[4] عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري ، ص : ١٠١ .

وسلمى صائغ وغيرهم .

**قيمة الأدب المهجري :**

ومما لا شك فيه أن الأدب المهجري قام بإثراء الأدب العربي ونفخ روحاً جديدة فيه وتحرّر من القيود المعتادة . دخلت فيه الموضوعات الحديثة التي لم يعرفها الأدب العربي أو قلّما كانت توجد فيه من قبلُ ، كما أثّرت الرومانسية وأفكار طاغور والخيّام على المهجريين . وتأثر أدبهم بالنزعات الصوفية والروحانية ويمثّل الشرق والغرب جنباً بجنب فنجد فيه حكاية لبنان وسوريا وأميركا على حد سواء [١] .

وهناك بعض من الأدباء ينقد على الأدب المهجري نقداً لاذعاً منهم عزيز أباظة الذي يقول : " بأنه لم يجدّد شيئاً ولم يضف للأدب العربي جديداً ، ولم يتبلور بعد ، ولم يتخذ صورة واضحة المعالم " [٢] .

وعلى صعيد آخر ، هناك كثير من الأدباء يشيدون بأعمال المهجريين ويقدّرون مجهوداتهم ، منهم الدكتور أبو شادي وهو يقول : " إن الأدب المهجري لم يقطع صلته بالشرق وبالعروبة والإسلام ، فجميعها مؤثر عليه من النواحي العاطفية غالباً وهذه تشمل الوطن والدين والسياسة ، وأبرز ملامح الأدب المهجري عنده هو حريته وثقافته وإنسانيته ، وهو مزيج من الواقعية والرومانسية والرمزية والسريالية " [٣] .

**نسيب عريضة :**

إن أديبنا هذا هو من مؤسسي " الرابطة القلمية " في المهجر الأمريكي الشمالي . ومن مواليد عام ١٨٨٨م في مدينة " حمص " ، شمال سوريا من أبوين مسيحيين وهما أسعد عريضة وسليمة حداد [٤] . تلقى تعليمه الابتدائي في حمص ثم أكمل دراسته المتبقية في مدينة الناصرة بفلسطين [٥] ، حيث التقى بعبد المسيح حداد وميخائل نعيمة وأصبح زميلاً وصديقاً لهما . وبعد قضاء أربع سنوات ، حاز على شهادة المدرسة . ثم توجه إلى نيويورك في عام ١٩٠٥م وانشغل بالتجارة المختلفة . قام بإنشاء

---

[١] عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري ، ص : ٣٢٠ .

[٢] نفس المصدر ، نفس الصفحة .

[٣] نفس المصدر ، ص : ٣٢٦ .

[٤] نسيب عريضة الشاعر الكاتب الصحفي : دراسة مقارنة ، للدكتور نادرة جميل السراج ، ص : ١ .

[٥] نفس المصدر ونفس الصفحة .

مطبعة " الأتلنتيك " في عام ١٩١٢م .

ومنذ طفولته كان نسيب عريضة مولعاً بمطالعة الكتب العربية شعراً ونثراً . ومنذ الخامسة عشرة من عمره بدأ نسيب يقرض الشعر . وبما أن نسيب عريضة كان شغوفاً بقراءة الكتب ومتعطشاً للعلم والمعرفة ، فإن هذا الحب والتعطش جعلاه كاتباً وشاعراً متفوقاً بين أصدقائه ومعاصريه ومترجماً قديراً من اللغة الروسية والإنجليزية ، ولذا لقب زملاءه بلقب " الموسوعة العربية " [1] .

ونظراً إلى كثرة مطالعة نسيب عريضة وتردده إلى المكتبات في نيويورك يقول ميخائيل نعيمة : " لم يعرف القسم العربي في مكتبة نيويورك العمومية زائراً أكثر تردداً عليه من نسيب " [2] .

**نسيب عريضة شاعراً :**

وقد جمع نسيب عريضة شعره في ديوان سمّاه " الأرواح الحائرة " فهو يشتمل على ٩٥ ( خمس وتسعين ) قصيدة ، منها مطولتان سمّى الأولى منها " على طريق إرم " والأخرى " احتضار أبي فراس " . ففي المطولة الأولى ، بيّن الشاعر المراحل المختلفة والجهود المضنية التي بذلها في الوصول إلى المعرفة والكمال والسعادة الروحية ، كما يشير إليها عيسى الناعوري قائلاً بأنها : " خريطة كاملة للمراحل التي اجتازها الشاعر في حياته ، وهي تدلّنا على الجهاد النفسي العنيف الذي جاهده مع المجهول لأجل البلوغ إلى الكمال والمعرفة والسعادة الروحية ، إلى أن تبدّى له بصيص من نور الحقيقة يلمع من بعيد ، ولكنّه لم يتمكن من الوصول إليه بل اكتفى بأن يناجيه في نهاية المطولة " [3] . وتتضمن المطولة الثانية ٧٢ ( اثنين وسبعين ) بيتاً وفي هذه الأبيات يتخيّل الشاعر احتضار أبي فراس وذلك في أسلوب مسرحي .

**ميزات شعره :**

**الحيرة :** هذه الميزة ميزة جوهرية في شعر نسيب عريضة ، ربما يتحيّر الشاعر أمام الوجود حيث يحرص على الوصول إلى المعارف والحقائق الكونية ولكن يعجز عنها . وعلى صعيد آخر يقف الشاعرحيراناً أمام غربة اللغة واختلاف " الذهنية " وتنوع العادات مما

[1] نفس المصدر ، ص : ٢٦ .

[2] نفس المصدر ونفس الصفحة .

[3] أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية ، ص : ٢٧٤ .

كان يواجهها في خارج وطنه . وتتسم هذه الحيرة بطابع فلسفي متسائل . وفي هذا الموضوع له قصيدة مشهورة بعنوان " على الطريق " وهو يحثّ فيها نفسه على الجهد في سبيل التحقيق عن الحقائق والمعارف الكونية قائلاً [١] :

لماذا وقفتِ بخوفٍ وحيرةْ أيَا نفسُ عند الطريقِ العسيرةْ ؟
ألا أمشي فإنَّ الحياة قصيرة ألا أمشي !
مقرُّ الإلهِ بعيدٌ فسيْري لكَيْ تُدرِكي اللّهَ قبلَ النُّشورِ
وجِدّي ولا تسألِي عنْ مَصيري بعَيشي !
ألا أمشي ، وبَعدَ الجِهادِ الحقيقي سنَسبقُ آمالَنا في الطّريقِ
ونَجْني الأَشِعّةَ قبلَ الشُّروق ألا أمشي !

**الألم :** وبما أن نسيب عريضَة واجه مشاكل عديدة في بلاده ، منها اقتصادية وسياسية ونفسية ودينية ، وثبتت آثار هذه المشاكل على ذهنه وامتزجت قصائده بالألم والحزن . وعاش في الولايات المتحدة الأميركية حياة فقر وشقاء حتى توفّي في حالة البؤس ، فيشكو في شعره قائلاً [٢] :

غنى المغني في سكون الدجى فقال لي صحبي : أما تسمع
نراك لا تحسو كؤوس الطلا ولا تنادي : آه أو تخشع
قلتُ دعوني مطرقاً حائراً فليس لِي في لهوكم مطمع
إذا سمعتم فأنا سامع ما ليس يصبيكم ولا يمتع
أبعد من ضجّة ألحانكم عاصف أنغام به أرتعُ
قرارها الحزن ودولابها كآبة ضاقت بها الأربعُ

**النزعة الإنسانية :** وهي إحدى الميزات الرئيسية التي نجدها في شعر نسيب عريضة ، فيصف الألم الإنساني عن طريق شخصيته المحزونة .

**الحنين إلى الوطن :**

إن الشعور بالغربة والعزلة والشوق والحنين إلى الوطن جزء لا ينفك من حياة الأدباء والشعراء المهجريين ، وهذا أمر طبيعي لكل من ترك بلاده لأوضاع غير ملائمة ومكث في بلاد الاغتراب بحثاً عن المال والحرية

[١] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ( الأدب الحديث ) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م ص : ٦٢٢ .

[٢] من قصيدة " في جلسة طرب " ، الأرواح الحائرة ، طبعة نيويورك ، ١٩٦٤م ، ص : ٤٧ – ٤٨ ، تاريخ القصيدة ، ١٩١٥ .

والتسامح ورغبة في الأمن والسلام . فإن شخصية نسيب عريضة تتكوّن من عنصر الحنين إلى الوطن والتشوّق للعودة إلى وطنه واللقاء من أهله وأقربائه . وقصيدة " أمّ الحجارة السود " لنسيب عريضة ، تعتبر من أروع شعر الحنين العربي . فيعبر عن مشاعره وعواطفه في وصف مدينته الأصلية والحبيبة " حمص " :

وقفتُ رغماً وحوليَ الناسِ ما وقفتْ أراقب السلّ ، والأثمار قد بسمت
كأنّها إذا رأتني ذاهلا عرفتْ أنّي غريب ، فحيّتني وما نطقتْ
فطار قلبي حنيناً نحو أوطاني

هذا ، ونجد أن نسيب عريضة لا يتقيدٍ في أشعاره بقيود الكلاسيكيةِ العربية ولا يتبع الأوزان والتفاعيل دائماً بل يبتعد عن الوزن التقليدي حيناً لآخر ، " ويتصف شعره بأن فيه مسحة من الكآبة تلفه برداء قاتمٍ من قدرة عجيبة على التلاعب بالأوزان الشعرية والتفنن بها ، فهو أحياناً يتقيدٍ بنظام الشطرين وأحياناً يأتي بالشعر الحر الخالي من كل قيد وأحياناً يجمع بين النظامين "[١] .

**ومن نماذج شعره الحر :**

كفنوه
وادفنوه
أسكنوه
هوّة اللحد العميق
واذهبوا لا تندبوه
فهو شعب ميت
ليس يفيق

ولقّب ميخائيل نعيمة ، نسيب عريضة بـ " شاعر الطريق " لما له إبداعات وأفكارٍ في وصفٍ منهج الحياة وسلوكياتها ، فيقول عنه : " فهو يحسّ الحياة سيراً متواصلاً لا راحة فيه ولا توقّف ويحسّ الوجود طريقاً غاب أوله في غيبوبة الجهل وتوارى آخره في غيبوبة المعرفة فلا ينقطع عن حث قلبه إلى الأمام "[٢] .

[١] محمد أيوب تاج الدين الندوي : شعر العرب من النهضة إلى الانتفاضة ، ص : ١٤٢ ، البلاغ ببليكيشنز ، نيو دلهي ، الهند ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠م .
[٢] عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري ، ج ٢ ، ص : ٦٦٣ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

**نسيب عريضة كاتباً وصحفيّاً :**

إن شخصية نسيب عريضة لم تكن محدودةً في قرض الشعر بل كان كاتباً بارعاً وصحفياً محنكاً أيضاً . كتب القصة باسم " قصة ديك الجن الحمصي " التي نشرت في ٣٥ ( خمسة وثلاثين ) صفحة من مجموعة الرابطة القلمية [١] في عام ١٩٢١م . وهي قصة تاريخية اجتماعية تأثر بها نسيب عريضة إلى حد كتبها في أسلوبه القصصي الرائع ، كما يشير إليها نسيب عريضة قائلاً : " هذه قصة الشاعر الحمصي : عبد السلام بن رغبان ، الذي لقّب بديك الجن . فقد أحب ، فقتل ، فندم ، فمات ، روتها إليّ أمواج نهر العاصي همساً قبل غروب الشمس في يوم من أيام الصيف ، عندما كنت أقرأ بعض أشعاره في كتاب قديم . وأكّدها لي النسيم العليل على الصخور الصلبة ، وخلال الريح الناعمة سمعت صوتاً هامساً يقول : الحياة – ككل – تدور حول محور واحد ذي عمودين : الحب والموت " [٢] .

ولنسيب عريضة قصة أخرى بعنوان " قصة الصمصامة " . الصمصامة اسم من أسماء السيف ، كما هي كانت اسماً لسيف الشاعر العربي عمرو بن معدي كرب الزبيدي . قد وصف فيها الكاتب قصة سيف ومعاناته عبر التاريخ والأجيال من الحوادث والوقائع . وكيف انتقل السيف من يد إلى أخرى ومن بلد إلى بلد آخر وحتى عاد إلى يد العرب لحماية ملك العرب من هجوم الإسبان ، ولكن الآن لم يكن السيف قوياً وحاداً مثل ما كان في يد العرب من قبل بل أصبح ضعيفاً . فيقول نسيب عريضة على لسان الصمصامة : " أخفقتُ ونبتْ مضاربي لأن الزينة التي تكسوني خففت كثيراً من حدتي ، وما ذنبي إذا كان الله يريد أن يعلّم العرب أمثولة ينتفعون بها في المستقبل ؟ " [٣] . وبعد تدهور سيطرة العرب على الأندلس ، انكمش السيف في قبضة الأوروبيين بدون الاستعمال . وفي نهاية المطاف لهذه القصة يعبر نسيب عريضة عن رجائه وخوفه على لسان السيف قائلاً : " أنا الآن سجين ، وربما كنت مثلي في بلاد لا أظنها بلادك . وبي حنين شديد إلى القتال تطرق منه الصدأ إلى قلبي وكأن النار

---

[١] الدكتورة نادرة جميل سراج ، نسيب عريضة الشاعر الكاتب الصحفي ، دراسة مقارنة ، دار المعارف بمصر .

[٢] الدكتورة نادرة جميل سراج ، نسيب عريضة الشاعر الكاتب الصحفي ، دراسة مقارنة ، دار المعارف بمصر ، ص : ١٢٩ ، نقلاً عن الكتاب .

[٣] مجموعة الرابطة القلمية ، ص : ٣٠٣ ، نقلاً عن نفس المصدر ، ص : ١٥٥ .

السماوية التي كمنت في قد أخذت تتأجج وتجبرني على أن ألتهم نفسي ، لأنه ليس لي من يأخذني فيضرب بي ضربة الحرية والمجد فيطفئ غليلي بجرعة من النجيع القاني تجدّد رونقي وتنعش روحي "[1] . ويتوجه السيف إلى نسيب عريضة سائلاً : " قل لي : ألا يزال قومك راضخين خاملين مستبعدين ؟ أليس فيهم من ينقذ السيف من سجنه ، فيعيد بحده أمجاد قحطان الذي استلني لأول مرة ؟ "[2] . بالإضافة إلى ترجمة رواية روسية إلى اللغة العربية باسم " أسرار البلاط الروسي " .

وأما الصحافة ، فإن هذا الأديب قام باسهامات بارزة في هذا المجال أيضاً سواء بإصدار المجلات أو رئاسة التحرير وكتابة المقالات للمجلات المهجرية الأخرى . إنه أنشأ مجلة شهرية باسم " الفنون " في شهر أبريل عام ١٩١٣م في نيو يورك . ولكن توقفت عن الصدور بعد عدة سنوات ثم ظهرت في عام ١٩١٦م واستمرت في العمل حتى شهر أغسطس عام ١٩١٨م . ومنذ ظهورها لأول مرة حتى توقفها نهائياً مرت هذه المجلة بمراحل عديدة صعبة وانقطع صدورها لعدة مرات لأسباب مالية قاهرة . أنفق نسيب عريضة كل ما كان لديه من الوسائل المالية في سبيل استقرار المجلة والعمل لترويج الأدب العربي مقيماً في بلد الغربة عن طريق إصدار المجلة وكتابات المقالات حول الموضوعات الأدبية والاجتماعية .

نالت هذه المجلة شهرة عالمية كبيرة وكسبت الشعبية والقبول لدى القراء والكتاب العرب بسبب محتوياتها القيمة وسياساتها العلمية والفكرية. فتحت المجلة باباً جديداً من الأدب العربي نثراً وشعراً . ومعظم المقالات كانت مترجمة من الأدبين الغربي والروسي . وكان من أهداف المجلة أن تقدم لقرائها الإبداعات والمبتكرات الموجودة في الآداب الأجنبية كما يلمح إليها نسيب عريضة قائلاً : " سوف نقدم لقرائنا أحسن الكتابات العربية ، وهدفنا الأكبر هو أن نترجم إلى العربية أجمل ما في اللغات الأخرى ، المطبوعة أو التي على حافة المطبعة ، حتى نمكن القراء من التعرف على محاسن الأدب الأجنبي وثرائه وسيطرة كتّابه المرموقين الذين لا يعرف العالم العربي إلا قلة منهم ............ سوف يراها الشعراء تتبعاً – باستمرار – انتشار روح الكتابات الجديدة حتى يكون لها طابع حيوي "[3] .

[1] الدكتورة نادرة جميل سراج ، نسيب عريضة الشاعر الكاتب الصحفي ، دراسة مقارنة ، ص : ١٥٥ .
[2] نفس المصدر ، نفس الصفحة .
[3] نفس المصدر ، ص : ١٦٢ .

إن جميع الأدباء المهجريين وجدوا مجلة " الفنون " منصةً رائعةً لنشر إبداعاتهم الأدبية من القصة والرواية والتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم في البلد الأجنبي . فكل من جبران خليل جبران وميخائل نعيمة وأمين الريحاني وغيرهم من الأدباء المهجريين ساهموا في هذه المجلة بكتاباتهم القيمة وأثروا اللغة العربية وآدابها وفنونها . وبالإضافة إلى نشر مقالات أدبية متنوعة ، نشرت المجلة " الأخبار الحديثة والنوادر المسلّية والصور اللطيفة والأمثال وغيرها مما يعجب "[1] ، مما زادت المجلة قيمةً وأهميةً وإعجاباً وتقديراً للقراء .

كانت تعد هذه المجلة من أكبر المجلات العربية أهمية وقيمة لما لها دور كبير في نشر المقالات المتعلقة بجميع المجالات من العلم والاجتماع والأدب والفن ، وعبّرت الدكتورة نادرة جميل السراج عن رأيها عنها قائلةً : " رأس المجلات الأدبية وأولاها وأرفعها قيمةً ، وكانت تنشر المواضيع العلمية والاجتماعية والأدبية والفنية "[2] .

هذا ، وساهم نسيب عريضة بكتاباته الفكرية والإبداعية في مجلة " السائح " الصادرة في نيو يورك وكان رئيس تحريرها صديقه عبد المسيح حداد ، كما نشر مشاعره في مجلة " الهدى " ومجلة " مرآة الغرب " .

**الختام :**

بعد دراسة نسيب عريضة وأدبه شعراً ونثراً يمكننا أن نستخلص من أدبه الميزات التالية :

١. لديه ثقافة عربية واسعة وباع طويل في الأدب العربي والتراث العربي شعراً ونثراً .
٢. الحيرة والشك جزء لا يتجزأ من حياته . وهو رجل حساس والروح الصوفية تتدفق في داخله .
٣. التشوق والحنين إلى وطنه " حمص " عنصر أساسي من أدبه . ويتذكر الذكريات الحلوة التي تركها في وطنه ، و يتمنى العودة إليها حياً أو ميتاً .

[1] نفس المصدر ، ص : ١٦٧ .
[2] نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، دار المعارف بمصر عام ١٩٥٧ ، ص : ٧٥ ، نقلاً عن مقالة فريد جحا " في الذكرى المئوية لولادة نسيب عريضة ، الإنسان والصحفي والشاعر ، ص : ٢ .

من نتاج الفكر

# التربية النفسية في الإسلام

الأستاذ صفاء الدين محمد أحمد *

جاء الإسلام برسالة الحياة ، ممثلة في كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه العظيم صلى الله عليه وسلم المصطفى صلى الله عليه وسلم المطهرة ، مرسلة من رب العباد إلى البشرية ، وذلك من أجل عبادته عز وجل على الوجه الصحيح ، وإنقاذهم من رق العبودية لغيره ، وبيان أن التذلل لا يليق إلا لله الواحد القهار ، ولدعوة الناس إلى الخروج من ظلمات الجهل إلى نور الحق ، وتعليمهم أمور دينهم ، وإيضاح النافع لهم ، كما بين الله تعالى في محكم كتابه : ( وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ) "سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ " . . وبهذا نرى أن الإسلام جاء لهداية البشرية ، ووضع الجزاء والثواب الحسن لمن تمسك بأوامره وترك نواهيه ، فكان الجزاء ( جَنَّة عَرْضُهَا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ) "سورة آل عمران ، الآية : ١٣٣ " ، فما أحسن الجزاء ، وما أعظم الثواب من الله عز وجل .

**إكرام بني آدم بالعقل :**

عندما خلق الله جل جلاله الإنسان كرّمه بالعقل وجعله في الأرض خليفةً له ليحكم بشريعته ، وجاء في غالب آيات القرآن الكريم مخاطبة العقل – وهذا دليل واضح على تمييز الإنسان بتلك الصفة ، والكفالة للإنسان بالسعادة في الدارين لكي يحمل الأمانة المنوطة به ، ويميز بين الحق والباطل ، والعقل فعلاً غريزي فطري غير مكتسب به ، وهو يُكسب الإنسان إنسانيته ، وكرامته .

بالعقل تقودنا النفس إلى التفكير في ملكوت الله ، والقيام بالعبادات التي فرضها الله تعالى على الخلق على الوجه المطلوب ، كما قال سبحانه : ( قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ) "سورة الأنعام ، الآية : ١٦٢ " . . فأولو الألباب هم الذين يتبعون ما أمرهم به ربهم ، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة ، والقلوب الخاشعة ، والنفوس المخبتة ، وليسوا كمن حرم من الحق وحرم اتباعه ، فنراه يسجد للصليب ، ويقدس الشمس والقمر ، أو النار ، أو النجوم ، وغيرها من

* كاتب إسلامي ، وباحث ، جمهورية مصر العربية .

الآلهة الكاذبة عياذاً بالله ، قال الله تبارك وتعالى : ( وَٱتَّخَذُواْ من دُون ٱللَّه آلهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً ) " سورة مريم ، الآية : ٨١ " فأضاعوا أنفسهم في الحياة الدنيا ، وسوف يضيعهم الله في الآخرة جزاء بما كسبوا .

**اهتمام الإسلام بتربية النفس :**

تعتبر تربية النفس من الأمور التي دعا إليها ديننا الحنيف ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وبيت في أعلى الجنة لمن حسنت سريرته " ( رواه الطبراني في الأوسط )– أي : حسنت نيته ، وكانت لا تحمل غلاً ولا حقداً على أحد . . ويجب علينا معرفة تربية النفس في خلوها ، وتزكيتها من شوائب الشرك ، والرياء ، والنفاق ، والكذب ، والحسد . . وغيرها ، وتلك الأمور هي التي تفسد النفس ، وتجعلها في قلق ، واضطراب .

وليس هناك بأفضل من جعل النفس ذكية طاهرة ، منساقة لطاعة الله ، معظمة لشعائره ، خاضعة لأوامره – فالنفس البشرية مفطورة على تعظيم الرب الخالق سبحانه وتعالى ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه إما يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه " ( رواه البخاري ) ، ونلاحظ من هذا الحديث أن الفطرة السليمة هي التي فطر الله الناس عليها ، ويحدث الاختلاف باختلاف مقاصد الناس .

وقد تتعرض النفس البشرية لأمراض تعتريها ، ومنغصات تتربص بها – ولكن الإسلام دين الرحمة جعل لكل مشكلة حلاً ، ولكل مرض شفاء بإذن الله تعالى ، كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال : " تداووا عباد الله ، فما أنزل الله داء ، إلا وأنزل معه دواء ، عرفه من عرفه ، وجهله من جهله " ( رواه احمد ) . . فيظهر لنا واضحاً جلياً أسباب القلق ، والكآبة والأمراض النفسية ، وغيرها من منغصات الحياة حيث تكمن في ابتعاد الفرد عن أساسيات السعادة ، في أداء الفروض والواجبات من الأمور التي يحبها الله عز وجل – فالمحروم من سعادة تلك العبادات والتقرب إلى الله عز وجل هو الذي يعيش الشقاء في هذه الدنيا ، وسوف يجد الويل والثبور في الآخرة ، ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى : ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيۤ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنْسَىٰ ) " طه : ١٢٤ – ١٢٦ " ، وقال تبارك وتعالى : ( وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ) " الزخرف : ٣٦ " .

لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع التشبيه في هذا الحديث بين حياة المسلم والكافر حينما قال : " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت " ( رواه البخاري ) . . فهناك فرق بين الموت والحياة ، وشتان بينهما ، فنجد من عظم الله ، واستشعر مراقبته ، وتحركت مشاعره حباً وشوقاً ، وطمعاً لمثوبة الله ، وتعظيماً لسلطانه ، فهو كالحي ، وأما من عصى ربه ، منغمساً في الشهوات ، وفاعلاً لما يغضب الله ، ومنتهكاً للحرمات ، فهو كالميت ، لا روح له ، وعياذاً بالله .

يجب على الفرد المسلم أن يحاول جاهداً أن يزكي نفسه من التمرد والعصيان ، وأن يسوقها إلى طاعة الله عز وجل – كما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " أيها الناس ! حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتهيئوا للعرض الأكبر " ( يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ) " الحاقة : ١٨ " .

وذكر الفضيل بن عياض قائلاً : " من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه ، وحضر عند السؤال جوابه ، وحسن منقلبه ومآبه – ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته ، وطالت في عرصات القيامة وقفاته ، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته . . وأكيس الناس من دان نفسه وحاسبها وعاتبها وعمل لما بعد الموت ، واشتغل بعيوبه وإصلاحها " – فهذه هي النفوس التي قدّرت الله وعظمته ، وعرفت ثوابه وعقابه .

**التربية النفسية من أهم صفات المجتمع الناجح :**

وتعتبر التربية النفسية من أهم صفات المجتمع الناجح ، وسمة من سمات الأفراد الصالحين ، الذين يدركون أهمية التربية النفسية في إصلاح المجتمع ، ويتطلعون إلى أن تكون مجتمعاتهم من أفضل المجتمعات دينياً وفكرياً وثقافياً ، وهي تحفظ المجتمع من الشر المحيط به ، وتأخذه إلى بر الأمان ، مرتكزاً على القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة ، وذلك أساس النور الحقيقي الذي منبعه الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحده . . والتربية النفسية هي أساس السلوك الحسن ، والخلق القويم ، والسيرة الفذة ، وقد كانت هي أساس الصلاح ، وهداية الحيارى ، وصلاح الأفراد . . هذه هي الشيم التي تربى عليها سلفنا الصالح ، وتلك هي التعاليم التي استقوها من تربيتهم الإيمانية .

صور وأوضاع

# " وقتل شعب كامل قضية فيها نظر "

محمد فرمان الندوي

**ارحموا من في الأرض :**

انتهى حج هذا العام ( ١٤٤٠هـ ) بفضل الله تعالى ومنّه وكرمه ، وقد نال هذا الشرف قرابة ثلاثة ملايين حاج من جنسيات مختلفة من مشارق الأرض ومغاربها ، وبدأت قوافل الحجيج تعود إلى بلدانهم سالمين غانمين ، شاكرين لله ومحتسبين ، كيوم ولدتهم أمهاتهم ، انتهى حج هذا العام رغم جميع المحاولات المشئومة التي بذلت لتسييس الحج وتدويله في العالم أجمع ، وقد كثفت مجهودات جبارة ، وحُشدت إعدادات ضخمة لإحباط هذا النظام وإلحاق الأضرار بضيوف الرحمن ، لكن أمر الله كان قدراً مقدوراً ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ ٱللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ﴾ ( التوبة : ٣٢ ) ، فهنيئا لحضرات السعادة والفضيلة وأصحاب السمو والمعالي على إنجاز هذه المهمة التعبدية ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيراً يستعملهم في طاعته . (سنن الترمذي :٢١٤٢)

إن أعظم ركن في الحج هو الوقوف في صعيد عرفات ، من لم يقف بعرفة ، فلا حج له ، ويكون الشيطان أكثر خزياناً بالدموع الغزار التي تسيل يوم عرفة من عيون المسلمين الحجيج ، وقد أشار إلى ذلك رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم : الحج عرفة ، ومن المواقف المشهودة في هذا اليوم الأغر الأشهر خطبة عر فة ، وكان خطيب عرفة لهذا العام سعادة الشيخ محمد بن حسن آل الشيخ حفظه الله تعالى ( عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ) ، وأنا سمعت خطبته مباشرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، وقت إلقائها من على منبر مسجد الخيف في عرفات ، فوجدتها تغطي نصف ساعة ، وتشتمل على محاور إيمانية وعقدية كثيرة ، وقد لفت سعادته عناية الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة في أحرج وقت وأدق ساعة ، وحث سعادته حجاج بيت الله الحرام على التراحم فيما بينهم ، وتجسيد قيم الإسلام ونصوصه التي تحث على الرحمة بجميع الخلق والتسامح فيما بينهم ، وقال : " إن الإسلام جعل من أسس العلاقات الاجتماعية الرحمة بالآباء والأبناء والأزواج والأقارب ، وللرحمة مجالات متعددة في حياتنا المعاصرة ، سواء سن الأنظمة واللوايح أو استخدام وسائل المواصلات أو الاستخدام الأمثل للتقنية أو وسائل الإعلام " .

ولا شك أن هذه الخطبة تجمع بين المعاني والمدلولات التي تحتاج إليها البشرية في عصرنا الحاضر ، فإنه لفي أشد حاجة إلى هذا السماد الذي يجعل

حقل الإنسانية أخضر ، ففي كل دولة اضطراب وفساد ، وفي كل قطر جعجعة وبلبلة ، وفي كل جانب صراخ وعويل ، وقد صوّر هذه الحقيقة الشاعر عمر بهاء الأميري :

فأنى التفت فحق سليب    وأنى أصخت فرجع النحيب
فأنى مشيت فدرب مهيب    وفخ عجيب ولغم رهيب

وإن مجرد دراسة أسماء الله الحسنى تكشف أن الرحمة تغلب على كل شيئ ، فقال تعالى : رَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فإذا كان الله عزوجل أكثر رحمة فعباده أحق بأن يكونوا رحماء فيما بينهم ، فإذا كانت الرحمة عامة قلت صناعة الأسلحة ، وإذا كانت الرحمة فائضة من كل شيئ فتجري الأمور في مجاريها ، وإذا كانت الرحمة لاهجة بها الألسن فكانت الطيور تغدو خماصاً وتروح بطاناً ، وإذا كانت الرحمة منبعثة من قلب كل ذي روح فحلت البركات والخيرات في كل جزء من أجزاء الحياة ، لكن ، يا للأسف، قد سادت الشدة والغلظة في كل جانب ، فالناس غلاظ ، والبهائم شداد ، وهلم جراً . فجاءت خطبة عرفة في أوانها وفي مكانها ، محتوية على أصول ودعائم تتفرع منها أحكام وآداب ، وللناس فيما يعشقون مذاهب .

**لكل موضع مقال :**

وقد شهد الثقلان خطبة أروع وأمثل من هذه الخطبة ، وهي خطبة حجة الوداع ، وذلك حينما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم أول وآخر مرة في إسلامه ، وهي حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة ، وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مأة ألف من الصحابة رضي الله عنهم ، ( روي عددهم من مأة وأربعة عشر ألفاً إلى مأة وثلاثين ألفاً ) ، وكانت هذه الحجة حسب ما وصف إمامنا العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي في السيرة النبوية : " تقوم مقام ألف خطبة وألف درس ، وكانت مدرسة متنقلة ، ومسجداً سياراً ، وثكنة جوالة ، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل ، وينشط فيها الكسلان ، ويقوى فيها الضعيف ، وكانت سحابة رحمة تغشاهم في الحل والترحال ، وهي سحابة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وعطفه وتربيته وإشرافه " . ( ص : ٣٩٣ ) .

وقد سجل المؤرخون كل لحظة ودقيقة من هذه الحجة ، وهو " تسجيل دقيق في تاريخ رحلات الملوك والعظماء والعلماء والنبغاء " ، وقد أفاض العلامة ابن قيم الجوزية في هذا الموضوع في " زاد المعاد في هدي خير العباد " ، كما ألف العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي مؤلفاً قيماً باسم : حجة الوداع وجزء عمرات النبي صلى الله عليه وسلم ، ولخص الإمام الندوي ما يوجد في هذين المصدرين بقلمه المعجز الساحر بإيجاز في السيرة النبوية ، وهاكم

بعض إيحاءات منه :

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج ، وخرج في شهر ذي القعدة سنة عشر ، ومر بالأبواء وعُسفان ووادي ذي طوي ، ودخل مكة نهاراً ، ثم سار حتى دخل المسجد ضحى ، فلما نظر إلى البيت قال : اللهم زد بيتك هذا تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ، ثم بدأ الطواف وفرغ منه ، وأكمل العمرة ، وبعد الفراغ من العمرة بقي في مكة أربعة أيام ( يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء ) ، فلما كان يوم الخميس توجه إلى منى ، ووقف فيه ، وقد ضربت له قبة بنمرة ، فنزل بها ، ثم سار إلى عرفة ، فخطب على ناقته القصواء خطبة عظيمة ، وبقي طول اليوم متضرعاً ومبتهلاً إلى الله تعالى ، ثم أتى المزدلفة ، وبات هنا الليلة ، وبعد طلوع الشمس سار إلى منى ورمى الجمرات ، وخطب في منى خطبتين ، في يوم النحر وثاني يوم النحر ، وتأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة ، ثم جاء إلى مكة وطاف طواف الوداع ، وأمر بالرحيل وتوجه إلى المدينة .

إن خطبة حجة الوداع كانت مشتملةً على الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرام عليهم كحرمة يوم عرفة ، وجميع أمور الجاهلية تحت قدميه ، حتى الربا ، فقد أبطلها ونسخها ، وأوصى المسلمين بالنساء خيراً ، وقد نهى الناس عن الظلم ، ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، إنه لا يطيب مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه ، بهذه الخطبة الجامعة أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد الدين وفصل للخطباء الآخرين أموراً يبنون خطبهم على هذا المنوال ، فقد دأب الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا العمل ، إنهم لا يذكرون بهذا الموقف أموراً هامشية جزئية ، بل يركزون على أصول وقواعد تتفق عليها الأمة من أول يومها ، وقد قيل : لكل موضع مقال ، ولكل نكتة مجال .

**" وقتل شعب كامل قضية فيها نظر " :**

ظهرت منظمة الأمم المتحدة إلى حيز الوجود في ٢٤/ أكتوبر ١٩٤٥م ، بعد الحربين العالميتين اللتين كانتا سبباً لخسارات كثيرة ، فكان من أهدافها حفظ السلم والأمن وإنماء العلاقات الدولية وتحقيق التعاون الدولي على حل المشكلات ، وإقامة مركز لتنسيق جهود الأمم ، لئلا تعود مثل هذه الخسارات الباهظة لإزهاق الأرواح وإتلاف الأموال في العالم ، فإنها شكلت وكالات ولجاناً ترعى جميع مصالح الإنسان من التعليم ونشر القيم والإسعاف في الحوادث ، فأنشأت منظمة حقوق الإنسان عام ١٩٤٨م ، وهي تتألف من ٤٧ دولة عضواً ، تجتمع كل سنة في ثلاث دورات على الأقل في جنيف بسويسرا ،

ولها لوايح تشتمل على ثلاثين بنداً وقاعدةً ، وهي تعتبر أرقى منشورات قانونية في العالم ، لكنها في الحقيقة صورة مقتبسة من خطبة حجة الوداع ، رتب هذه اللوايح رجال أوربا فخُيل إلى الناس أنهم مقترحون لهذه الدساتير القانونية ، رغم أن الحقيقة بالعكس ، وتعمل تحت إشرافها منظمة العفو الدولية وغيرها من الأقسام ، وهي أسماء لامعة في تاريخ العالم البشري ، لكنها علامة للاستعباد والذل والهوان ، ينخدع الناس بمجرد سماع هذه الأسماء ، لو كانت هذه المنظمات نشطة في تحقيق الأمن واستقرار السلام لم يكن الناس فريسة للمشكلات ، وقد قال رئيس جمهورية سري لانكا مايتر بالا سريسنا في عام ٢٠١٧م في اجتماع عام عقدته وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية : " إن سوء استعمال الأسلحة شيئ خطير ، لكن الأخطر منه إنتاج الأسلحة وتصديرها إلى مناطق مختلفة ، ما لم تتوقف هذه السلسلة لا يستقر الأمن في العالم " .

وقد خص يوم باحتفال حقوق الإنسان ، وهو اليوم العاشر من شهر ديسمبر كل سنة ، لكن من المؤسف جداً أن هذه المنظمة حينما تقوم على أرض الواقع ، فتُرسى قواعد دولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي عام ١٩٤٨م ، وأن هذه المنظمة حينما تنشط وتعمل عملها فقد يُسلب بيت المقدس عام ١٩٦٧م من أيدي الفلسطينيين بل من المسلمين في العالم أجمع ، وقد كانت قضية كشمير منذ سبعين سنة في جداولها المشروعة ، فأصدرت قراراً رسمياً ، لكن اكتفت بالوعود المعسولة والتمنيات الحلوة ، ولم تنل عنايتها الخاصة ، فزاد الأمر تفاقماً على مر الأيام ، وذهب ضحيته حوالي مأة ألف شخص ، وقد تم الاتفاق على إلغاء المادتين ٣٥ – ٣٧٠ ، التي تمنح كشمير وضعاً خاصاً ، وتجري الآن صراعات واعتداءات على الأقليات عامة ، وعلى المسلمين خاصة ، في بعض المناطق ، لكن لا تحرك ساكناً ولا توقظ الضمير الإنساني ، كأن دماء المسلمين صارت رخيصة ، وصدق من قال :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل قضية فيها نظر

وقد أبدى عن مثل هذه الانطباعات أستاذنا الجليل الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي في هذه الصفحات قبل أربعة أعوام منذ اليوم .

" إن تعطل الأمم المتحدة وتبعيتها للدول الكبرى هو السبب الرئيس لاستمرار الاعتداءات المسلحة في مختلف العالم ، إذا لم يوضع حد لهذا الوضع ، فإن هذه الصراعات الإقليمية ستُحول العالم إلى حرب عالمية ثالثة ، وتكلف الإنسانية أكثر مما كلفته الحربان السابقتان لتقدم الصناعة العسكرية واختراع الأسلحة أكثر تدميراً " . ( من المجلد الستين في العدد السادس ) .

إلى رحمة الله تعالى

## (١) سمو الأمير بندر بن عبد العزيز إلى رحمة الله تعالى

نعت الأنباء الواردة من المملكة العربية السعودية ، صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود الذي وافته المنية يوم الأحد الموافق ٢٥/ من شهر ذي القعدة لعام ١٤٤٠هـ .

وقد صدر عن الديوان الملكي بيان نشرته وكالة الأنباء السعودية ( واس ) جاء فيه : ( انتقل إلى رحمة الله تعالى هذا اليوم الأحد الموافق ١٤٤٠/١١/٢٥هـ صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود ، وسيصلى عليه – إن شاء الله تعالى – بعد صلاة العشاء ليوم غد الاثنين الموافق ١٤٤٠/١١/٢٦هـ بالمسجد الحرام في مكة المكرمة ، تغمده الله تعالى بواسع رحمته ومغفرته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أعلنت صحف سعودية أن الأمير بندر بن عبد العزيز الأخير غير الشقيق للملك سلمان بن عبد العزيز ، وغير والد الأمير فيصل بن بندر أمير منطقة الرياض ، ويعد الأمير الراحل بندر بن عبد العزيز الابن العاشر من أبناء الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم خادم الحرمين وجميع أعضاء الأسرة المالكة الصبر والسلوان . ( آمين ) .

## (٢) فضيلة الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي في ذمة الله تعالى

فوجئنا مساء أمس بنبأ وفاة الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي ، نجل العلامة شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى ، المهاجر إلى المدينة المنورة والمتوفى فيها ودفين الغرقد منذ أكثر من أربعين عاماً .

كان الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي رحمه الله تعالى داخلاً للعلاج في أحد المستشفيات الكبيرة في مدينة " ميرت " على مقربة من مدينة سهارنفور حيث كان يقيم في منزله ويشرف على جامعة مظاهر العلوم ، خلفاً لوالده العظيم شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله رحمةً واسعةً ، وقد كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين تولى تدريس الحديث الشريف والصحاح الستة في جامعة مظاهر العلوم إلى مدة طويلة ثم هاجر إلى المدينة المنورة .

توفي الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي في يوم عيد الأضحى عصراً يوم الاثنين العاشر من ذي الحجة لعام ١٤٤٠هـ الموافق ١٢/ من شهر أغسطس ٢٠١٩م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ طالما يزور الحرمين الشريفين ويقيم في المدينة المنورة بين

أصدقائه ومحبيه والمعجبين به ، وقبل مدة أثناء إقامته فيها أصيب بمرض حتى أدخل في المستشفى حيث جرى علاجه ونال الشفاء بإذن الله تعالى ، ولكنه بعد عودته إلى الهند ظل يعاني من ضعف الصحة إلا أنه لم يقعد عن عمل التعليم والتربية الدينية للقاصدين والزائرين له ، وقدم مثالاً لخلف صالح لأبيه الراحل العظيم ، وأفاد بذلك خلقاً كثيراً ، وخلف وراءه نموذجاً صالحاً لمرب مخلص وعالم رباني ، سجله التاريخ المعاصر بحروف من ذهب ، وكانت علاقته بالإمام الرباني العظيم العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي وطيدة مخلصة منذ أيام الوالد العظيم ، كما كان ذا صلة بندوة العلماء وشيوخها ومع العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء اليوم .

كان الشيخ الكاندهلوي من مواليد ١٣٦٠هـ المصادف ١٩٤١م من القرن المنصرم ، كان قد أكرمه الله سبحانه بالعلم والأخلاق العالية ، وبالتربية الدينية ، استفاد منه خلق كثير من أولي العلم والفضل من الناس ، فخلف وراءه أسرة صالحة لمن يأتي بعده من أصحاب العلم والدين بمشيئة الله تعالى .

ونحن إذ نعزي أهله وأعضاء أسرته وتلاميذه وذوي القربى ، نبتهل إلى الله تعالى أن يكرمه بالرحمة والمغفرة ويجزيه مكانة عالية في الآخرة ، فإن الله يحب المحسنين .

## (٣) الشيخ نفيس خان الندوي إلى رحمة الله تعالى

غادر الأخ الكريم الشيخ نفيس خان الندوي إلى رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء في التاسع عشر من شهر ذي القعدة لعام ١٤٤٠هـ ، المصادف ٢٣/ يوليو ٢٠١٩ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ نفيس من أشرف بيوتات العلماء المخلصين في مدينة بوفال الهند ، وكان والده الشيخ محمد سلمان خان الندوي من علماء البلدة والدعاة إلى الله تعالى ، وشقيق العالم الجليل الداعية إلى الله الشيخ محمد عمران خان الندوي ، عميد دارالعلوم لندوة العلماء سابقاً ، وكان المرحوم الشيخ نفيس الندوي من أكبر أولاده البالغين عشرة أشقاء ، ممن درسوا في دارالعلوم لندوة العلماء وتخرجوا منها ، وهم يعتزون بهذه النسبة دائماً . وكلهم من حفظة كتاب الله تعالى الجيدين . وهكذا جمعوا بين حفظ وتلاوة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، ومثلوا نموذجاً عالياً للعلماء والدعاة ، ونحن إذ نعزيهم على وفاة أخيهم الكبير وشقيقه العزيز الأخ الفاضل الأستاذ كليم الرحمن بوجه خاص ، وجميع الأشقاء وجميع أعضاء الأسرة ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويغفر له زلاته ويكرمه بالجنات والنعيم . والله ولي المتقين .

## (٤) والدة الأخ العزيز السيد معاذ الحسيني في ذمة الله تعالى

فجعت أسرة المجلة بنبأ وفاة السيدة طاهرة الحسني والدة السيد محمد معاذ الحسيني الندوي يوم الأحد ٢٤/ من شهر ذي القعدة ١٤٤٠هـ الموافق ٢٨/ يوليو لعام ٢٠١٩م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة ابنة بنت العلامة الدكتور عبد العلي الحسني الكبيرة ، وحليلة الأستاذ محمد مسلم الحسني في تكية رأي بريلي ، في أسرة السيد الإمام الشهيد أحمد بن عرفان رحمه الله تعالى ، ومن أقرباء العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله والعلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء اليوم .

ونحن إذ ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الراحلة العزيزة بالرحمة والمغفرة نبتهل إلى الله سبحانه أن يكرمها بجنات ونعيم ، ونعزي الأخ العزيز السيد محمد معاذ الحسيني الندوي ووالده الكريم وجميع أعضاء الأسرة بالدعاء لها وبقراءة القرآن الكريم تسليةً لروحها ، فإن الله غفور رحيم .

## (٥) الأخ العزيز الأستاذ عبد الواجد الندوي إلى رحمة الله تعالى

فوجئنا بنبأ وفاة الأخ الكريم الأستاذ عبد الواجد الندوي ، من أقارب فضيلة الشيخ المفتي خالد سيف الله الغنغوهي النقشبندي ( حفظه الله تعالى ) في السادس من شهر ذي الحجة لعام ١٤٤٠هـ يوم الخميس الموافق ٨/ أغسطس ٢٠١٩م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ عبد الواجد الندوي من متخرجي دارالعلوم لندوة العلماء ومن الشباب النابهين الذين يقضون حياتهم للعمل في مجال الدين والدعوة إلى الله تعالى ، وكان من أكبر المساعدين لخاله الكريم الشيخ الغنغوهي ، حفظه الله تعالى ، ومن العاملين معه ، ولا سيما كان يساعده في إصدار مجلة ( صدائي حق ) نداء الحق ، على جميع المستويات ، ولم يكن به بأس من مرض أو انحراف صحة ، إلا أن الله سبحانه وتعالى كتب له العودة إلى الدار الدائمة والخروج من الدار الموقتة في أيام شبابه ، وقد أورث حزناً لوالده الجليل وأعضاء أسرته وأصدقائه ، ولكن ليس ذلك إلا بحكم من الله تعالى وقضائه الذي يكون وراءه خير عظيم وعطاء جزيل نتمتع به فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ خالد سيف الله وجميع أهله وأعضاء أسرته نتضرع إلى الله تعالى أن يكرمه بالرحمة والمغفرة وبالجنات والنعيم ( إن شاء الله تعالى ) ويلهم الجميع الصبر على الحادث والسلوة ، فإن الله تعالى يجزي عباده المتقين .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/2341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2018 To 2020
Published on: 3rd of Every Month

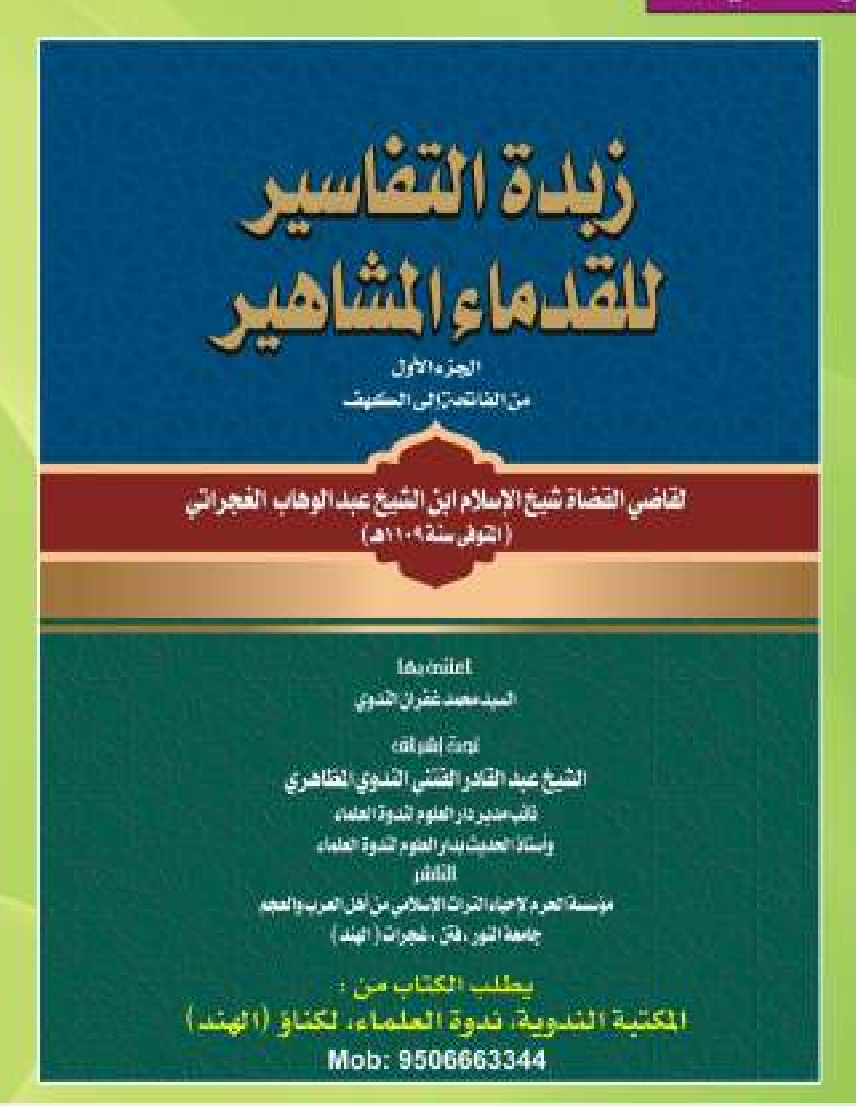
Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

# AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 65 Issue. No. 06 September 2019

**إصدارات حديثة :**






Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept. of Journalism & Publicity) and Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
*Editor:* SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI